الكشف الجديد

آرثر كونان دويل

ترجمة

د. عبد العزيز جادو

الكشـــف الجـديـــد

الكشف الجديد

صفحات رائعة
فى العلم الروحى الحديث

تأليف
السير آرثر كونان دويل

ترجمة وعرض
الدكتور عبد العزيز جادو

دار صادق للنشر
ص. ب. ١٢٠ سيدى جابر
الإسكندرية

□ رقم الإيداع بدار الكتب القومية: ٣٦١٦ / ١٩٩٤

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 5337 - 09 - 7

□ الطبعة الأولى: يوليو ١٩٩٤

المحتويات

تقديم للناشر

عـرض الدكتـور عبـد العزيـز جـادو – ترجمـة هـذا الكتـاب – بطريقة أمينة يلمس القارىء منها مدى وعيه وإيمانه بالتأمل فى ثقافة تناقش النواحى الغيبية بكل صراحة ووضوح بعيدا عن الفكر المتحجر – والمترجم ليس بغريب عن هذا النوع مـن الثقافـة – ولـه مؤلفـات أدبيـة وروحيـة – وهـو عضو اتحاد الكتـاب بمصر – وعضو الإتحاد العالمى للروحيين بانجلترا.

ويوضح الكتاب مـدى اهتمـام الـدول بهـذه الثقافـة التى تـلاقى رفضا أعمى فى المجتمعات الإسلامية رغم أن الظواهر الغيبية لاينكرها أحد – ولكن التأمل فيها يحتاج من الانسان أن ينطلق بفكره ويجاهد نفسه حتى يرى مدى انعكاسات هذه الظواهر فى وجوده – ويمكن فى هذه الحالة أن يكون التأمل نافذة تطـل منهـا العقـول المضيئة على أسرار هذا الكون اللانهـائى.

ويساعد التأمـل الانسان على أن يعكس البصر إلى داخلـه ليـرى آيات الحق فيه – فيعرف أن له وجـودا ممتـدا بين عـالمين – وأن عـالم الغيب ليس منفصلا عنه – ويؤمن به تجريدا ويحس بوصلته بمستويات الغيب بحسب كسبه وجهاده ونيتـه.

والحق يذكرنا دائمـا – بشيـاطين الإنس والجـن يـوحى بعضهـم

لبعض – وعلى الجانب الآخر تتنزل عليهم الملائكة – أسمع به وأبصر – إدعونى استجب لكم – أقرب إليكم من حبل الوريد – معكم أينما كنتم – فإذا تأملنا فى هذه المعانى – عرفنا أن الصلة قائمة بين عالم الشهادة وعالم الغيب – سواء فى الجانب الرحمانى أو الجانب الشيطانى – ولكن الكثرة تتثاقل إلى الأرض بظلامها – وتنكر هذه المعانى حتى لاتدخل فى دائرة جهاد النفس – والإنسان دائما عدو ما يجهل –.

ولقد بذل المترجم جهدا كبيرا فى الصياغة اللغوية للترجمة لتلافى التعنت من قِبَل بعض المتزمتين أو المتمسكين بالحرفية – الذين لايؤمنون إلا بظاهر الأمر فى تقييده – ولايتدبرون فى آيات الله فى غيبه ومشهوده.

الناشر

مقدمة المترجم

مؤلف هذا الكتاب هو السير آرثر كونان دويل (١٨٥٩ - ١٩٣٠)، وكان طبيبا، وأديبا، وخطيبا، وروائيا ذائع الصيت.

والسير كونان دويل ليس فى حاجة إلى تعريف، فهو صانع شخصية «شرلوك هولمز» تلك الشخصية الفذة ذات الخواص الجذابة التى تميزها عن جميع الشخصيات الروائية الأخرى، والتى أصبحت أكثر شهرة من مؤلفها.

وكان السير كونان دويل يتحدث كثيراً فى قصصه عن الأرواح والأشباح لأنه كان معنيا بالروحية لدرجة كبيرة، حتى لقد كتب تاريخا صحيحاً وافيا للروحية الحديثة.

لقد كان الرجل حقا روائيا، ولكنه كان كذلك طبيبا، ثم كان كاتبا من أولئك الكتاب الذين يتناولون المعرفة الإنسانية من نواحيها المختلفة. ولما قامت الحركة الروحية الحديثة إنضم إليها ضمن هؤلاء الباحثين الذين لم يستطيعوا أن يتراجعوا حينما وجدوا أنفسهم مساقون إلى طريق المعرفة الصحيح. فلمّا تأكد من صحة الموضوع عمل فيه بقلبه ولسانه وقلمه. كما فعل غيره من نصراء الحق.

لقد قام السير آرثر بتأليف عدد كبير من الكتب الشائقة التى تعتبر من المراجع الهامة، منها : «الكشف الجديد» (١٩١٨)، «الرسالة الحيوية» (١٩١٩)، «تاريخ الروحية» فى جزئين كبيرين (١٩٢٦)،

«جـولات روحى» (١٩٢٦)، «أرض الضبـاب» (١٩٢٦)، «حافـة المجهول» (١٩٣٠)، «البينة على التصويرالروحى» (١٩٤٢) وغيرها..

ولقد قام السير آرثر بدور هام فى إنشاء «الكلية البريطانيـة للعلـم الروحى» بالاشتراك مع سير وليام باريت.

واختير عضواً منذ سنة ١٩٠٢ فى «جمعية البحث الروحى» وأصبح رئيسا شرفيا منذ سنة ١٩١٥ «للاتحاد الدولى للروحيين» ورئيسا شرفيا «للاتحاد الأهلى للروحيين» بلندن. وقد تطوع للعمل طبيبا فى الفرقة الطبية فى حرب البوير ثم فى الحرب العالمية الأولى[١].

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارىء – والذى أعلن فيـه دويـل أن تجارب ثلاثين عاما واصلها بنفسه فى هذا الموضوع كانت كافية لبناء اقتناعه الخاص بصحته – وبأن الثقافة الروحية الحديثة إنما تساعد الإنسان على كشف الجوانب الحقية فى الدين وفى الحياة الممتدة للكائن البشرى.

والله أسأل أن يلهمنا الصواب فيما نفعل وفيمـا نقـول ..

د / عبد العزيز جـادو
عضو الاتحاد العالمى للروحيين بانجلترا
عضو اتحاد الكتاب بمصر

---

(١) للمزيد من المعرفة، راجع «مفصل الإنسان روح لا جسد» للدكتور رؤوف عبيـد، ص ٤٠٧ / ٤١١.

الإهداء

إلى كل الشجعان،

رجالاً ونساء، أميين ومتعلمين،

ممن كانت لديهم الشجاعة الأدبية خلال سبعين عاماً

لمواجهة سخريةٍ أو عائق دنيوى

حال أو يحول دون إظهار الحقيقة كلها،

بكل ما فيها من أهمية.

إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب

المؤلف

مارس ١٩١٨

مقدمة المؤلف

هناك كثير جداً من أصحاب العقليات الفلسفية ممن يفوقونني بكثير، عنوا بالجانب الديني من الموضوع الذى يتناوله هذا الكتاب.. وكثير جداً من ذوى العقول العلمية وجهوا انتباههم إلى النواحى الخاصة بالظواهر العجيبة الشاذة.

وبقدر ما أعلم، لم تكن هناك، مع ذلك، أية محاولة سابقة تبين العلاقة الصحيحة فى ارتباط أحدهما بالآخر.

وإنى لأشعر بأنى لو نجحت فى إزالة ما يكتنف هذا الموضوع من غموض، وتبديد ما يحوطه من صعوبة، وجعله أقرب إلى الوضوح، فإنى بذلك أكون قد ساعدت فى حل مسألة أعتبرها من أهم المسائل التى شغلت الجنس البشرى قاطبة فى العصر الحديث.

ولقد تفوهت مدام بيير، الروحية الشهيرة، فى عام ١٨٩٩ بكلمات سجلها الدكتور هودجسون فى حينها، وكانت تتحدث وهى فى حالة غيبوبة عن مستقبل العقيدة الروحية فقالت: «إن هذا الأمر سيكون فى القرن المقبل من الممكن أن يدركه الناس، ويكون أقرب إلى عقولهم بطريقة مذهلة. ولسوف أقوم أيضا بوضع تقرير شامل يتحقق لكم منه مدى صحة هذه الأمور. فمن الكشوف الواضحة من الاتصال الروحى ستكون هناك حرب مخيفة فى

مختلف أجزاء العالم. إن العالم أجمع يجب أن يسوده الطهر ويكتنفه الصفاء والنقاء قبل أن يستفحل الأمر ويعم البلاء. أيها الأصدقاء .. أرجو أن تفكروا فى هذا جيداً، وتتقبلوه بصدر رحب»

ولقد نشبت فعلا «حرب مدمرة فى مختلف أجزاء العالم»، ويظل النصف الثانى من التقرير فى طريقه إلى التحقيق.

آرثر كونان دويل
١٩١٨

الفصل الأول

البحث

لقد كان موضوع البحث الروحى أحد الموضوعات التى وجهت إليها أكثر اهتمامى، وصرفت فيها معظم تفكيرى. وكنت مع ذلك أكثر تمهلاً وأكثر تأنيا فى تكوين رأيى الخاص عن هذا الموضوع أكثر من أى موضوع آخر على الإطلاق.

وبين حين وآخر، حينما يكون الإنسان سائراً فى طريق الحياة، مرة تهزه الحياة هزاً عنيفا، ومرة أخرى تدفعه برفق وهوادة، يحدث أن يقع حادث صغير يبرهن - بما لا يدع مجالاً للشك - على الحقيقة بأن الوقت يمرّ، وأن فترة الشباب الأولى ثم منتصف العمر إنما يوليان الأدبار. فلقد وقع لى منذ مدة ليست ببعيدة حادث من هذا القبيل.

كان هناك فى تلك الصحيفة الصغيرة الممتازة «لايت»[1] عمود مخصص لإعادة نشر الأحداث الهامة التى مضى على نشرها بالجريدة ثلاثون عاماً. وبينما كنت أطالع هذا العمود منذ عهد قريب إنتابتنى رجفة مفاجئة حين رأيت اسمى، وقرأت طبعة معادة بدون تعديل من خطاب كنت كتبته فى عام ١٨٨٧ مبينا فيه بالتفصيل بعض تجارب روحية شائقة تمت فى إحدى غرف الجلسات الروحية. وإذن فمن الواضح الجلى أن اهتمامى بالموضوع ما يزال مستمراً راسخاً، وله عندى منزلة عظيمة. بل وأيضا، منذ ذلك الحين وفى

غضون السنة الأخيرة أو السنتين الأخيرتين، أعلنت بنفسي أخيراً أننى مقتنع تماماً بالبينة. ولم أكن متهوراً أو متسرعاً فى تكوين رأيى. وأننى إذا دوّنت بعض تجاربى ومشاكلى فإنى آمل أن لا يظن قرائى أن هناك استئثاراً بالنفس أو أنانية من جانبى. وألاّ يرموننى بالغرور، بل يدركون أنها الطريقة الواضحة الدقيقة التى تنبض بالحياة، والتى يمكن أن أرسم بها النقاط الأساسية التى يحتمل أن تحدث لأى باحث آخر. إننى حين تغاضيت عن هذا الباعث، واستخففت به فمن الممكن أن يكون ذلك لاكتساب معرفة أو فهم أكثر شيوعاً وأكثر شمولاً، وغير متأثر بالشعور الشخصى، وموضوعى بطبيعته.

عندما انتهيت من دراستى فى الطب عام ١٨٨٢ وجدت نفسى، مثل كثير من رجال الطب الناشئين، مادياً، مقتنعاً تمام الاقتناع بالمذهب المادى[٢] فيما يتعلق بمصيرنا الشخصى، وبقضائنا وقدرنا. ولم أكفّ عن أن أكون جاداً ومؤمنا حقا وصدقا بوجود إله، لأنه قد خيّل إلىّ أن سؤال نابليون للعلماء الملحدين عن الليل المرصع بالنجوم فى أثناء رحلته البحرية إلى مصر : «مَن يكون، أيها السادة، ذلك الذى صنع هذه النجوم؟» .. لم يحظ بأى جواب.

ولكى نقول إن الكون إنما خلق وفقاً لقوانين ثابتة غير قابلة للتغيير أو التحوير، فإن هذا يضع السؤال بعيداً إلى الخلف درجة فيما يتعلق بمن وضع القوانين.

إننى لم أعتقد – بطبيعة الحال – بإله مجسّم، موصوف أو متصوّر فى شكل بشرى أو بصفاتٍ بشرية. ولكننى كنت أعتقد آنذاك – كما أعتقد الأن – بوجود قدرة عاقلة وراء كل عمليات

الطبيعة، قدرة سرمدية غير متناهية، عظيمة لا حدّ لعظمتها، لدرجة لا يمكن لعقلى المحدود أن يتوصل إلى أبعد من الاعتقاد بوجودها.

وأرى أيضا أن الصواب والخطأ فى الإنسان إنما هما حقيقتان كبيرتان واضحتان، لا يحتاجان إلى وحى إلهى. ولكنهما عندما أصبحا موضوع بحث عن بقاء شخصياتنا على قيد الحياة بعد وفاتنا ليكون من ورائهما حساب الإنسان ليقوده مصيره بحسب استقامته ووعيه، فقد ظهر لى أن المماثلة أو التشابه الجزئى فى الطبيعة برمته كان ضدها حيث كنت مقتنعا بالمذهب المادى. فلقد رأيت قوانين الطبيعة عندما تنطفىء الشمعة يختفى الضوء، وعندما تتحطم الخلية الكهربية[٣] يتوقف التيار. وعندما يتحلل الجسد البشرى تحلّ النهاية بالمادة.

إن كل إنسان بما فيه من أنانية وصلف، وبما يحتويه من غرور، ربما يشعر بأنه يجب أن يحيا حياة أخروية. وهنا سنقول، ولكن دعه ينظر إلى المتكاسل أو المتعطل العادى. هل يستطيع أى إنسان أن يجادل أو يؤكد أن هناك أية علة واضحة تبين السبب فى أن «تلك» الشخصية يجب أن تواصل سيرها؟ .. كان هذا يبدو تضليلاً وخداعاً، وكنت مقتنعاً بأن الموت إنما هو نهاية كل شىء، ولو أنى لم أدرك لأى سبب كان يجب أن يؤثر ذلك فى قيامنا بتأدية واجبنا نحو الإنسانية فى خلال وجودنا المؤقت.

لقد كانت هذه حالتى النفسية عندما استرعت الظواهر الروحية اهتمامى لأول مرة. وكنت مهتما بالموضوع حتى لقد كنت اعتبره فى الماضى من أكثر الموضوعات عبثا وهراء على وجه الأرض. وكنت أقرأ عن اعتقاد الوسطاء المدلّسين والمزورين واقتناعهم،

وأتعجب كيف أن أى إنسان بكامل قواه العقلية يمكن أن يؤمن بهذه الأشياء. وقد التقيت ببعض الأصدقاء ممن كانوا يهتمون بهذا الموضوع ويولونه أهمية كبيرة.

وجلست معهم بعض جلسات حول المائدة المتحركة. وحصلنا على رسائل متصلة، وانتابنى شيء من الخوف من أن النتيجة الوحيدة التى وصلوا إليها عن عقلى هى أننى نظرت إلى هؤلاء الأصدقاء نظرة فيها بعض الشك والارتياب.

وكانت الرسائل طويلة فى أغلب الأحيان، موضحة بتعبيرات ليس فيها لبس، بطريقة الطرقات، بطريقة يستحيل معها أن تكون قد جاءت عن طريق الصدفة. ظننت أن أحدهم كان يتصرف فى المائدة، وربما كانوا هم الآخرون يظنون أننى أنا الذى أحركها.

لقد انتابتنى حيرة شديدة واستولت علىّ حالة من القلق والاضطراب من هذا الأمر، لأنهم كانوا أناساً لا يمكن أن أتصور بأى حال أنهم محتالون أو مخادعون. وفوق ذلك لم يكن فى استطاعتى أن أرى كيف كانت الرسائل تأتى إن لم تكن عن طريق ضغط شعورى(٤).

وفى خلال ذلك الوقت – وقد يكون فى عام ١٨٨٦ – صادفنى كتاب بعنوان «ذكريات القاضى إدموندز»، وكان قاضيا بالمحاكم العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان رجلاً من ذوى المناصب العالية، رفيع المنزلة. ولقد روى فى هذا الكتاب بالتفصيل كيف انتقلت زوجته إلى الحياة الأخرى، وكيف كان حريصا على أن يظل على اتصال بها. يروى ويصف كل ذلك باسهاب .. قرأت

الكتاب بعناية واهتمام وشغف، ولكنني وقفت موقف المتردد بين الإثبات والنفى، متوقفا عن الحكم بين التصديق والتكذيب إزاء موضوع يتصدى لمبادىء الدين الأساسية كالخلود والوحي .. الخ.

وخيّل إليّ أن هذا قد يكون مثالاً لرجل عملي واقعي صارم، نقطة الضعف عنده عقله، كيف تكون مقدرته العقلية أسلوب من الرجعية ضد تلك الحقائق الصريحة الصافية عن الحياة الدنيا التى كان يتعين عليه البحث فيها والتعامل معها.

أين تلك الروح التى كان يتحدث معها؟ .. إننا لو افترضنا أن رجلاً عرض له حادث مفاجىء، تحطمت على أثره جمجمته، فإن صفاته الخلقية كلها ستتغير، وبالتالى ستتغير طبيعته وجوهره وصفاته من السمو والرفعة، إلى الضعف والوهن والاكتئاب .. بالكحول أو الأفيون أو بأى نوع من أنواع المخدرات يستطيع الفرد أن يغيّر بشكل ملحوظ نفس أى إنسان. إذن فالنفس إنما تعتمد على المادة. وكان هذا هو الحوار الذى كان يدور بداخلى فى تلك الأيام.

لم أكن أدرك أن الروح ليست هى التى تتغير فى مثل تلك الحالات، وإنما هو الجسد الذى تعمل الروح من خلاله. بالضبط كما لو كان هناك «كمان» لعازف موسيقى ماهر وقمت أنت بالعزف عليه، فدون شك سيحدث منه نغمات متنافرة.

لقد كنت مشوقاً لدرجة كبيرة، وكانت عندى رغبة جامحة للاستمرار فى قراءة هذا المؤلف، الذى شدّ انتباهى وأثار فضولى أينما ذهبت. وذهلت عندما وجدت هذا العدد الهائل من هؤلاء الرجال العظام – ممن كانت أسماؤهم فى الطليعة الأولى من رجال

العلم - يؤمنون إيمانا راسخاً بأن الروح مستقلة عن المادة، ويمكن أن تبقى على قيد الحياة فى عالـم آخـر.

وعندما نظرت إلى الروحية كخدعة مبتذلة من أناس غير مثقفين، أمكننى أن أتظاهر بازدرائها واحتقارها، ولكن حينما يعترف بها ويؤمن بها رجال مثل وليم كروكس الذى أعرفه عالما مبرزاً ومن أعظم كيميائى بريطانيا؛ وألفريد راسل والاس وهو من رجالات العلم البارزين، وخليفة داروين؛ وفلاماريون وهو من أعظم رجال الفلك المعروفين فى العالم - لم احتمل رفضها أو نبذها أو الانصراف عنها.

لقد كان من المستحسن أن نطرح جانبا كتب هؤلاء الرجال، بل ونطيح بها جميعا. تلك الكتب التى تحتوى على نتيجة استقراءاتهم وحصيلة استنتاجاتهم للطبيعة وتحقيقاتهم الحذرة واستقصاءاتهم الدقيقة، ونقول: «حسنا، لقد كانت عنده نقطة ضعف فى عقله».

ولكن على المرء أن يكون راضيا عن نفسه تماماً إذا لم يأت اليوم الذى يتوق فيه إلى أن يعلم فيتساءل عما إذا كانت نقطة الضعف لم تكن فى عقله هو بالذات. لأننى كنت فى يوم ما مؤيداً ومدعماً فى شكوكى عن طريق التأمل وإمعان الفكر، أن كثيراً من مشاهير الرجال مثل داروين ذاته، وهكسلى، وتندال، وهربرت سبنسر، كانوا يسخرون من هذا الفرع الجديد من المعرفة.

ولكننى عندما علمت أن سخريتهم وصلت إلى درجة كبيرة، إلى حد أنهم لم يستطيعوا دراسة الموضوع أو بحثه دون تحيز، متحررين من تزمتهم الدينى، وأن سبنسر صرّح بالحرف الواحد أنه

اتخذ قراراً ضده على أساس من الخبرة والتجربة. فى حين أن هكسلى قال إن الموضوع لا يهمه فى شيء ولا يثير انتباهه، وكنت مصمما على التسليم بأنه، مهما كانوا على درجة من العلم عظيمة، فإن تصرفهم وأسلوب عملهم فى هذه الناحية لا يتفق مع العلم، ولا يتمشى مع الأساليب العلمية. فى حين أن أسلوب العمل الذى قام به هؤلاء الذين درسوا الظاهرة وحاولوا جادين أن يكتشفوا القوانين التى تحكمها، كان أسلوباً يسلك فى صدق وعن بينة الطريق الصحيح الذى قادنا إلى المعرفة ومنحنا التقدم الإنسانى.

وبقدر ما كنت قد فهمته وحفظته عن ظهر قلب من حجج وبراهين فى هذا الشأن، لم يكن موقفى التشككى صلبا كما كان من قبل أمام هذه الدراسات لأولئك العلماء. ومع ذلك فقد كان مدعماً إلى حدٍ ما بتجاربى الخاصة. وجدير بالذكر أنى كنت أعمل بدون وسيط، وكنت بذلك أشبه بالفلكى الذى يعمل بدون مقراب[٥]. أنا نفسى لم يكن لدى أية قوى روحية. أما أولئك الذين كانوا يعملون معى فكان لديهم قدراً صغيراً. واستطعنا فيما بيننا لاختبار هذه الظاهرة التى بدأناها عند أصدقائنا من الباحثين الروحيين وبعض أصدقائى الماديين أن نحشد بشق النفس قدراً كافيا من القوة المغنطيسية لنجعل المائدة تتحرك وهم مفعمون بالشك مثلى، نزاعين إلى الارتياب. وكانت الرسائل فى كثير من الأحوال خرقاء حمقاء[٦].

وإننى ما أزال أحتفظ عندى بمذكرات عن تلك الجلسات ونماذج مخطوطة من بعض تلك الرسائل. لم تكن كلها دائما حمقاء بكل ما فى الكلمة من معنى. فقد وجدت فى ذات مرة، على سبيل المثال، عندما ألقيت سؤالاً للاختبار هو: «كم قطعة من

النقد فى جيبى؟» أن المائدة ترسم الإجابة بوضوح: «نحن هنا لنعلم ونثقف ونهذب لا لكى نخمّن أو نحل الألغاز والأحاجى.. إن الإطار الدينى للعقل وليس الإطار الانتقادى هو الذى نرغب فى طبعه وغرسه فى الذهن» فهل هناك من يستطيع بعد ذلك أن يقول إن تلك الرسائل صبيانية؟.

ومن جهة أخرى كانت تتنازعنى دائما أفكار ما على نحو مستمر مزعج، وينتابنى خوف من الضغط اللا إرادى من أيدى الجالسين. ووقع حين ذاك حادث حيّرنى وأثار فى نفسى كثيراً من الكراهة والاشمئزاز.

كنا فى إحدى الليالى فى حالة جيدة ووصل التحريك إلى درجة بدا لنا منها تماماً أنه ليس مرتبطا بضغطنا. وجاءت رسائل طويلة ومفصلة فهمنا من فحواها ظاهرياً أنها من روح أدلى باسمه وقال إنه كان مندوباً تجارياً متجولاً، فقد حياته فى حريق وقع حديثا فى ملهى «إكستر». وكانت التفصيلات كلها دقيقة وصحيحة. وتوسل إلينا أن نكتب لأسرته التى تعيش، كما يقول، فى مكان اسمه «سلاتنمير» فى «كامبرلاند». ففعلت ما أوصانا به، ولكن خطابى عاد إلىّ ثانية، على نحو ملائم بما فيه الكفاية، عن طريق «مكتب الرسائل الميتة»(٧).

وحتى هذا اليوم لا نعرف إن كنا خدعنا أو أن يكون هناك خطأ فى اسم المكان الذى أرسل إليه الخطاب. ولكن ثمة حقائق، هى أننى قد إنتابتنى حالة من الاشمئزاز جعلت اهتمامى بالموضوع وشغفى به يأخذ فى التضاؤل.

لقد كان أمامى شىء واحد لدراسة الموضوع، ولكن حينما بدأ هذا الموضوع فى أن يلعب معى ويعبث بمزاحات عملية محكمة، ودعابات سمجة متقنة، تراءى لى أن الوقت قد حان لأن أظهر ضعفى وأعلن توقفى. ليت هناك مكان يطلق عليه اسم «سلاتنمير» فى أية بقعة فى العالم، إذن لكنت سعيداً إلى أقصى حدود السعادة لمعرفته.

كنت فى ذلك الوقت فى بلدة «ساوثسى» أزاول مهنتى كطبيب، وكان يقيم هناك «جنرال درايزون»، وهو رجل دمث الأخلاق، على درجة كبيرة من الخلق الرفيع، وكان واحداً من رواد الروحية فى هذه البلدة. وذهبت إليه أحمل على كاهلى متاعبى ومشكلاتى. وأصغى الرجل إلىّ بأذن واعية، وبصبر وطول أناة.

ولم يهتم بنقدى لطبيعة الكثير من تلك الرسائل الحمقاء. ونظر إلى تنديدى بالكذب المطلق فى بعضها، نظرته إلى شىء يمكن اغتفاره، وقال : «إنك لم تقتنع بعد بالحقيقة الأساسية الجوهرية. فهذه الحقيقة هى أن كل روح ببشريتها وبفطرتها الطبيعية (الحيوانية) إنما تجتاز العالم الآخر كما هى بالضبط، بدون أى تغيير البتة.

إن عالمنا هذا ملىء بأناس ضعاف أو أغبياء. وكذلك الشأن فى العالم الآخر. ولست فى حاجة إلى أن تخلط بينهم بأكثر مما تفعل فى هذه الدنيا. كل امرىء يختار رفيقه، وكل يصطفى صاحبه وخليله. ولكن هب أن رجلاً فى هذه الحياة الدنيا عاش فى بيته وحيداً ولم يختلط بزملائه أو رفاقه، وكان كل ما يفعله هو أن يطل برأسه من النافذة ليرى ماذا يكون شكل المنطقة التى يعيش فيها، أو المنزل الذى يقيم فيه، فماذا يمكن أن يحدث؟ من المحتمل

أن يسمع من بعض الأولاد الأشقياء سيىء الخلق شيئا بذيئا. وعلى أية حال، فهو لا يمكن أن يرى شيئا من الحكمة أو من سمو العالم وعظمته. ولو شاء لسحب رأسه مفكراً فى أن المكان مجدب حقير جداً. ذلك بالضبط ما قمت بعمله.

فأنت فى إحدى الجلسات الروحية المختلطة التى تجمع أشتاتاً من أشخاص متنافرين ومختلفين عُرفا أو دينا أو طبقة، وبدون هدف معين، قد أقحمت رأسك فى العالم الآخر، فالتقيت ببعض أولاد من الأشرار الأشقياء. وعليك أن تمضى قدماً إلى الأمام وحاول أن تصل إلى شىء أحسن».

كان ذلك تعليل الجنرال درايزون، ومع ذلك فإن هذا التفسير لم يقنعنى ولم يشبع رغبتى فى ذلك الوقت. وأعتقد الآن أنه كان بمثابة تقريب إلى الحقيقة.

وهكذا كانت أولى خطواتى فى الروحية، تردد وحيرة. وكنت ما أزال متشككا، ولكننى على الأقل، كنت باحثا مستقصياً. وعندما سمعت بعض الناقدين المحافظين من الطراز القديم (الدقة القديمة) يقولون أن ليس هناك أى شىء يستحق التفسير أو التعليل، وأن ذلك كله لا يعدو أن يكون خداعاً واحتيالاً، أو أن الأمر كان يحتاج إلى ساحر أو مشعوذ ليكشف عن خداعه، ويعلن عن سيئاته، عرفت على الأقل أن ذلك ما كان إلاّ هراء.

حقيقة أن بينتى التى أقرها وأعترف بها حتى ذلك الوقت لم تكن تكفى لأقتنع بها، ولكن قراءاتى التى كانت متصلة متواصلة، بيّنت لى كيف دخل أناس آخرون فى هذا الموضوع وتعمقوا فى

البحث فيه، وأدركت أن الدليل كان قوياً لدرجة كبيرة جداً. وما كان ذلك ليبرهن على أنه حقيقة، ولكنه على الأقل برهن على أنه يجب أنِ يعالج باحترام ووعى وصدق. ولا يمكن أن يهمل جانبا بأى حال.

خذ حادثا عرضيا فريداً لما يسميه «دالاس» حقاً: «معجزة حديثة». وقد اخترتها لأنها لا يمكن أن تصدَّق. إننى ألمح إلى التأكيد باصرار أن «دانيال دانجلاس هوم»[8] – الذى لم يكن كما كان متصوَّراً مغامراً محترفا أو مجازفا مأجوراً، بل كان ابن أخت «إيرل هوم» – طار من النافذة محلقا فى الهواء، وفى مرة أخرى طار على ارتفاع سبعين قدماً من سطح الأرض.

إننى لم أصدق هذا، ومع ذلك فإنى عندما علمت أن الحقيقة قد صدّق عليها وأعلن عن صحتها ثلاثة من شهود العيان هم: لورد دنرافن، ولورد لندسى، والكابتن واين، وكلهم رجال من ذوى المناصب العالية، والسمعة الحسنة، ومن الحاصلين على درجات الشرف الرفيعة. وكانوا على استعداد بعد ذلك لأن يؤدوا اليمين على صحة ما شاهدوا – لم يسعنِ إزاء ذلك إلاّ أن أسلم بأن البينة هنا أكثر صراحة وأكثر استقامة من أى واقعة من الوقائع القاصية التى اتفق العالم كله على قبولها كحقيقة.

وما زلت مستمراً فى خلال تلك الأعوام فى الاستمساك بمائدة جلسات التحضير التى لم تأت بنتائج فى بعض الأحيان، وفى أحيان أخرى بنتائج تافهة. وفى مرات كثيرة أخرى تقدم لنا نتائج مذهلة إلى حد ما. ولا أزال محتفظا عندى بمذكرات لتلك الجلسات، واقتطف هنا نتائج إحدى الجلسات التى كانت محددة ومغايرة

ومختلفة جداً عن أية مفاهيم آمنت بها عن الحياة فى القبر وعن العالم الآخر. تلك المفاهيم الى كانت تسلّينى وتلهينى أكثر مما كانت تثقفنى أو تهذبنى فى ذلك الحين. وإنى لأجد الآن – مع ذلك – أنها تتفق إلى حدٍ بعيد جداً مع الإلهام الذى كان يجىء عن طريق «رايموند»[٩]، وتطابق أيضا بيانات أخرى متأخرة، حتى أنى درستها دراسة وافية وفحصتها من وجهات نظر مختلفة. إننى أدرك تماماً أن جميع تلك البيانات عن العالم الآخر تختلف تفصيلاً – وأعتقد أن أياً من بياناتنا عن الحياة الحاضرة يمكن أن تختلف تفصيلاً.

وهناك فى الغالب الأعم تشابه كبير جداً كان فى هذه المرحلة بعيداً للغاية عن التصور، سواء كان عن نفسى أو عن كلٍ من الفتاتين اللتين نظمتا الدائرة. هاتان الفتاتان اللتان كانتا على اتصال بنا بعثتا إلينا برسائل. إذ نطقت إحداهما ببطء وبصعوبة كما لو كانت تتهجّى اسم «دوروتى بوسليثويت». إسم لم يكن معروفا لأى واحد منا .. قالت إنها توفيت فى مدينة «ميلبورن» منذ خمس سنوات مضت، فى سن السادسة عشرة، وأنها الآن فى غاية السعادة، وأن لديها عملاً تؤديه، وأنها فى المدرسة ذاتها كواحدة من السيدات. وعندما سألت هذه السيدة أن ترفع يديها وتمدنا بسلسلة متوالية من الأسماء، مالت المائدة إلى الاسم الصحيح لمديرة المدرسة.

وبدا ذلك نوعاً من الاختبار. واستمرت فى حديثها لتقول إن المجال الذى تقيم فيه يحيط بالأرض؛ وأنها عرفت الكثير عن الكواكب وعن المريخ وعن أشياء أخرى كثيرة؛ وأن ليس هناك أية آلام جسدية فى مجالها، وإنما يمكن أن يكون هناك قلق ذهنى؛

إنهم محكومون، وأنهم يقتاتون .. إن الأرواح تصلي وتتعبد، وأنها توفيت في مجالها الجديد قبل دخولها في مجال آخر. إن لديهم كل مصادر السرور والابتهاج. ومن ضمنها الموسيقى. إنه مكان يشع فيه النور والبهاء. وأضافت أن ليس لديهم غنى أو فقير. وأن الحالات العامة كانت أكثر سعادة مما كانت على الأرض.

وودعتنا هذه الفتاة محيية بقولها: أسعدتم مساء»، ثم استولت على المائدة تواً عن طريق فيض عنيف وشديد جداً قوة خفية دفعتها بعنف شديد. وبالإجابة على أسئلتي إدّعى إنه روح لشخص سأدعوه «دود»، كان لاعب كريكيت شهيراً، وكانت لي معه بعض محاورات شيقة في القاهرة قبل أن يرحل عن وادى النيل حيث واجه الردى في «الحملة الدنقلية» في السودان.

ويمكن أن أشير إلى أنني وصلت الآن في تجاربي إلى عام ١٨٩٦، ولم يكن «دود» معروفا لدى أى من الفتاتين. وبدأت أسأله أسئلة كما لو كان بالضبط جالساً أمامي، وردّ عليّ باجابات سريعة جداً وقاطعة باتّة. وكانت الإجابات في الغالب تتعارض تماماً مع ما كنت أتوقعه. ولذلك فإني لم أكن أصدق أنني أؤثر فيهم .. قال إنه كان سعيداً، حتى أنه لا يرغب في العودة إلى عالم الحياة الدنيا. كان مفكراً حراً ولكنه لم يتألم ولم يتعذب في الحياة الأخرى لهذا السبب. ومع ذلك فالصلاة شيء طيب ورائع. فبالصلاة نبقى على اتصال بالعالم الروحي. وكلما أكثر من الصلاة أزداد سمواً في عالم الروح.

ويمكن أن أشير إلى أن هذا كان يبدو بالأحرى متعارضا مع تأكيده وإصراره على الزعم بأنه لم يتألم ولم يتعذب لكونه كان

مفكراً حراً، ومع ذلك فكثير من الناس ممن كانوا مفكرين أحراراً كانوا لا يؤدون الصلاة.

كانت وفاته بدون ألم. وذكر وفاة «بولهويل» وكان ضابطاً صغيراً انتقل إلى العالم الآخر قبله. وعندما توفى «دود» وجد أناساً يرحبون به ولكن «بولهويل» لم يكن من بينهم.

لقد كان لديه عمل يؤديه. وكان يعلم بسقوط «دنقلة» ولكنه لم يكن موجوداً بالروح فى المأدبة التى أقيمت فى القاهرة. فيما بعد عرف أكثر مما كان يعرف فى الحياة الدنيا. وتذكر محادثاتنا ومناقشاتنا فى القاهرة. إن أمد الحياة فى المجال التالى كان أقصر مما كان على الأرض. وهو لم ير الجنرال غوردون[١٠] أو أى روح شهيرة أخرى. فالأرواح تعيش فى أسر وجماعات ذات تنظيم مشترك وفقاً لنظام خاص. والناس المتزوجون ليس من الضرورى أن يلتقوا مرة أخرى مع أزواجهم. ولكن أولئك الذين كانوا يحب بعضهم البعض يتقابلون مرة أخرى، فالحب والتعاطف والتناسب فى المستوى هو أساس اللقاء هنا.

لقد أدليت بهذا الموجز من المعلومات التى بلغتنا عن طريق الاتصال الروحى لأبيّن نوع العمل الذى توصلنا إلى نتيجته .. ولو أن هذا كان عبارة عن نموذج فيه محاباة وتأييد للموضوع. وفيه إطراء سواء كان من جهة الطول أو من جهة الترابط المنطقى أو كلاهما معاً. فهو يبين أنه ليس من الإنصاف أن نقول، ككثير من النقاد، إن الذى يأتينا إن هو إلاّ حماقة. وليس ثمة حماقة إلاّ أن نصف كل شيء بالحماقة ما لم يتفق مع أفكارنا التى سبق تكوينها أو تصورها. ومن ناحية أخرى، ما هو الدليل على أن تلك البيانات

كانت صحيحة؟ .. إننى لم أستطع أن أرى هذا الدليل، وغدوت بكل بساطة فى حيرة وارتباك.

والآن، مع تجربة أوسع، حيث وجدت أن نفس النوع من المعلومات يأتى إلى كثير جداً من الناس المعروفين باستقلالهم فى الرأى، وبالسماحة، وعدم التعصب، فى كثير من الشعوب. أظن أن اتفاق الشهود قام - كما فى كل حالات البينة - بتنظيم مناظرات لإثبات صدقهم. وفى الوقت ذاته لم أستطع أن أفسح مكانا أو مجالاً لمثل هذا المفهوم عن الحياة الأخرى فى نهجى الفلسفى الخاص فدونته فقط ومن ثم مضيت فى سبيلى.

واستأنفت قراءة العديد من الكتب المتخصصة فى الموضوع وأدركت إدراكا كاملاً ما كان موجوداً من سحب الشك وما كان يغيم على الشهود من شبهات، وكيف كانت ملاحظاتهم دقيقة تنطوى على الحذر الشديد. ولقد خلف هذا فى نفسى انطباعاً قوياً، وأثر فى عقلى أكثر مما أثرت فيه الظواهر المحدودة التى وصلت إلى دائرتنا.

حينئذ أو بعدئذ قرأت كتابا من تأليف الأستاذ «جاكوليوت» عن الظواهر الغامضة فى الهند. وكان «جاكوليوت» هذا رئيساً للمحكمة العليا لمستعمرة «تشاندناجور» الفرنسية. وكان حصيفاً، ذا عقل متصف بحسن التمييز والتقدير. ولكنه كان إلى حدٍ ما منحرفاً عن الروحية. وقام بتنظيم سلسلة من التجارب والاختبارات مع «الفقراء» والنساك الهنود، الذين أولوه ثقتهم، لأنه كان رجلاً ودوداً، ينظر إليهم بعين العطف ويتحدث بلغتهم.

وإنه ليصف الآلام التى قاساها كيما يتخلص من الاحتيال والتدليس. ولكى يختصر قصة طويلة فقد اكتشف فيما بينهم كل ظاهرة من ظواهر الوساطة الأوربية، وكل شيء – على سبيل المثال – مما كان يفعله «هوم» بلغ حالة يستطيع بها أن يطير بجسده إلى أعلى بدون وسيلة مادية. والسير على النار، وتحريك الأشياء عن بعد، والنمو السريع للنباتات، ورفع الموائد إلى أعلى. وكان تفسيرهم لتلك الظواهر هو أنها كانت تحدث بفعل «البتريس» أو الأرواح. والاختلاف الوحيد فى نهجهم التقليدى فى إنجاز هذه الأشياء عن نهجنا يبدو فى أنهم كانوا يستفيدون أكثر من طريقة «الاستصراخ» أو الاستغاثة المباشرة، أو الاستعانة بعالم الآباء.

وادّعوا أن تلك القوى انتقلت إليهم بالوراثة من السلف إلى الخلف منذ زمن سحيق ممعن فى القدم، قد يرجع إلى الكلدانيين.

كل ذلك أثر فى نفسى تأثيراً كبيراً. وهنا كذلك قد حصلنا، بعيداً عن التعصب – على النتائج ذاتها بدون أى جدل أو خلاف عن التدليس الأمريكى، أو الابتذال الحديث، الذين قاما ضد الظواهر المماثلة فى أوربا ..

ولقد تأثرت أيضا بتقرير الجمعية الجدلية (١١). فهو من الأعمال التى تفضى قراءتها إلى الاقتناع. مع أن هذا التقرير قد قدّم فى وقت يرجع إلى غام ١٨٦٩ . وهو وإن كان قد قوبل من الصحفيين الجهلاء وماديى العصر بالسخرية، إلاّ أنه فى الواقع ذو قيمة جليلة. فلقد تألفت هذه الجمعية من جماعة من الرجال الممتازين المعروفين بالنزاهة، ذوى المقدرة العقلية. وقد رغبوا فى القيام بتحقيق هذه الظواهر الروحية الخارجية فجاء تقريرهم مفصلاً تجاربهم المتقنة

مع التحوطات التى اتخذوها ضد التدليس.

فبعد أن يقرأ الإنسان البراهين المجموعة فى ذلك التقرير لا يستطيع أن يدرك كيف كان يصل هؤلاء المجربون إلى غير النتائج التى أعلنوها، وهى أن هذه الظواهر حقيقية بلا أدنى ريب، وتدل على وجود نواميس وقوى لا تزال مجهولة من العلم. والأغرب مما تقدم أنه لو جاء قرار هذه الجمعية ضد الحركة الروحية لطعنها طعنة قاتلة، وما كان يقابل بالاستهزاء الذى قوبل به عندما ضمّن صحتها.

لقد كان هذا نصيب عدد من الباحثين الذين قاموا بتحقيق الموضوع منذ أن بدأ أولئك الذين واكبوا الحركة منْ منطلقها فى «هايديزفيل» عام ١٨٤٨ ، أو الذين جاءوا عقب ذلك ومنهم «البروفيسور. هبر» فى «فيلادلفيا»، وهو مثل القديس بولس، بدأوا ينطلقون علانية ليقاوموا ويعترضوا ولكنهم أجبروا على الإذعان إلى الحق.

وفى حوالى عام ١٨٩١ أصبحت عضواً فى جمعية البحوث الروحية وانتهزت الفرصة لقراءة جميع تقارير الجمعية. إن العالم يدين بقدر كبير لنشاط الجمعية الكدود الذى لا يعرف التعب أو الملل .. ولاعتدال تقريرها ورزانته. لذلك فإنى سأعترف بأن التقرير الأخير يجعل الفرد ملولاً، نافد الصبر من حين إلى آخر، كما يشعر بأن رغبتهم فى الابتعاد والإعراض عن المذهب الحسى(١٢) إنما تجعلهم يعوقون العالم ويثنونه عن المعرفة والدراية والاستفادة من العمل الرائع الجليل الذى يقومون به. كما أن مصطلحاتهم الفنية الشبعلمية تخنق القارىء العادى وتصيبه بغصة. وقد يستطيع الفرد

أن يقول فى بعض الأحيان بعد قراءة مقالاتهم ما قاله لى أحد الأمريكيين من صائدى الحيوانات فى جبال روكى[١٣] عن رجل جامعى كان يرافقه كمظهر من مظاهر التكريم لفترة قصيرة. قال: «لقد كان بارعاً وذكيا ذلك الذى لم تستطع أن تفهم الذى قاله».

ولكن على الرغم من تلك الخصوصيات الصغيرة[١٤] أو الصفات المميزة، فإن كلاً منا ممن كان يتوق توقاً شديداً إلى النور والضياء فى ظلمات الجهل المدلهمة فإنه يجد هذا النور عن طريق العمل المنهجى فى الجمعيات بدون تعب البتة. وكان تأثير ذلك علىّ هو إحدى القوى التى عاونتنى الآن فى تشكيل أفكارى. وثمة عامل مؤثر آخر، من ناحية أخرى، ترك انطباعاً عميقا فى ذهنى وفى نفسى. فلقد قرأت حتى الآن جميع التجارب العجيبة التى قام بها المجرِّبون الكبار، ولكنى لم أصادف أى جهد أو أية محاولة من جانبهم لبناء نظام يمكن أن يغطيها ويحتويها جميعا.

إنى أقرأ الآن ذلك الكتاب الضخم «الشخصية الإنسانية» الذى ألفه «مايرز»[١٥]، وهو من الكتب ذات الجوهر الأصيل، ويعتبر كشجرة راسخة، أصلها ثابت، تمتد جذورها فى الأرض وترتفع أغصانها إلى أعلى يانعة وارفة محملة بالعلم والمعرفة. ولم يكن «مايرز» قادراً فى هذا الكتاب على الوصول إلى صيغة تعطى جميع الظواهر التى يطلق عليها «الظواهر الروحية»، ولكنه حينما ناقش قدرة الفكر على الانتقال من عقل إنسان إلى عقل إنسان آخر، والتى أُطلق عليها اسم «التلباثى»، فقد أقام الحجة تماماً على نقطته الأساسية من الموضوع، وعمل بنجاح على حلّه بأكمله، وتحقيقه بأمثلة ونماذج كثيرة جداً بعيداً عن أولئك الذين كانوا يغمضون

أعينهم عمداً عن البينة، حتى أخذت مكانها فيما بعد كحقيقة علمية. وكان هذا تقدماً هائلاً، فإن العقل إذا استطاع أن يؤثر على عقل آخر عن بعد، فمعنى هذا أن ثمة بعض القوى البشرية التى تختلف تماماً عن المادة كما كنا نفهمها دائما.

لقد انشقت الأرض ومادت من تحت أقدام المادية، وتهدَّم اتجاهى القديم. كنت أقول إن اللهب لا يمكن أن يبقى إذا اختفت الشمعة[١٦] .. ولكن اللهب هاهنا كان بعيداً عن الشمعة بمسافة طويلة، مؤثراً على نفسه بنفسه. وكان «قياس التمثيل»[١٧] بكل صراحة قياساً زائفا. فإذا أمكن لعقل الإنسان وروحه وذكائه أن يعملوا أو أن يحدثوا أثراً ملائما عن بعد من الجسم، إذن فثمة شيء منفصل عن الجسد على ذلك المدى. لماذا إذن كان يجب ألاّ يكون موجوداً فى جسده عندما يفنى الجسد؟ ..

والانطباعات لا تأتى فقط من مسافة نائية فى حالة أولئك الذين ماتوا منذ لحظات. ولكن البينة ذاتها برهنت على أن المظاهر الحقيقية للشخص المتوفى قد لحقت به، مبينة أن الانطباعات كان يحملها شيء يشبه الجسد تماما، ومع ذلك فقد قام بعمله بدون قيد، وبقى حيا بعد وفاته.

وسلسلة البينة بين أبسط حالات قراءة الأفكار عند الطرف الأول، والمظاهر الفعلية للروح بدون ارتباطها بالجسد فى الطرف الآخر، كانت سلسلة متصلة غير منفصمة، وكل وجه يقود إلى الآخر.

ولقد تراءى لى من هذه الحقيقة أنها تقدم لنا العلامات الأولى

للعلم المنظوم فى صورة مجموعة متناسقة متماسكة من الأفكار والمبادىء. وترتب لنا ما قد يكون هناك من مجرد مجموعة من الحقائق المذهلة غير المروية فى كثير أو قليل.

وفى هذه الفترة من الوقت كانت لدى تجربة مشوقة وممتعة، لأنى كنت واحداً من ثلاثة مندوبين أرسلتهم الجمعية الروحية ليظلوا ساهرين فى منزل مسكون بالأشباح. إنها حالة من تلك الحالات المعروفة «بالطيف الصخاب» أو «الشبح الضاج»(١٨)، حيث تسمع ضوضاء وتجرى بعض أعمال حقيرة منذ بضع سنوات. وهى تشبه إلى حد كبير جداً الحالة الكلاسيكية لعائلة «جون ويسلى» فى مدينة «إبوورث» فى عام ١٧٢٦ ، أو حالة عائلة «فوكس» فى مدينة «هايديزفيل» بالقرب من «روتشيستر» فى عام ١٨٤٨ ، التى كانت نقطة البداية للروحية الحديثة. ولم نصل فى رحلتنا إلى شىء مثير أو ملفت للأنظار. ومع ذلك لم تكن هذه الرحلة عقيمة بكل ما فى الكلمة من معنى ..

فى الليلة الأولى لم يحدث شىء. وفى الليلة الثانية كانت هناك ضجة مروعة وصخب كثير، وسمعنا أصواتا كما لو كان هناك شخص ما يضرب على المائدة بعصا. وكنا – بطبيعة الحال – متخذين كل حيطة وحذر، ولم نستطع تفسير الضوضاء، ولكننا فى الوقت نفسه لم نستطع أن نؤكد جازمين أن بعض الدعابات العملية البارعة لم يكن القصد منها أن تغشنا أو تضحك علينا أو تهزأ بنا. وإلى هنا انتهى الأمر إلى أن يأتى الوقت المناسب.

بعد ذلك ببضع سنوات التقيت بواحد من أفراد الأسرة التى كانت تقيم فى ذلك المنزل وأخبرنى بأنه قد ظهرت بعد زيارتنا

عظام طفل كانت مدفونة على ما يبدو منذ مدة طويلة واستخرجت بالحفر من الحديقة. إنك يجب أن تسلم بأن هذا الأمر كان جديراً بالاعتبار حقا. إن المنازل المسكونة نادر وجودها، والمنازل المدفونة فى حدائقها مخلوقات آدمية، نأمل أن تكون أيضا نادرة. أما أن يكون الأمران مجتمعين معاً فى منزل واحد فلا جرم أنه موضوع يستحق المناقشة من أجل الوصول إلى حقيقة الظواهر.

ومن المفيد أن نذكر أن فى حالة أسرة «فوكس» أيضا كان ثمة كلام يقال عن عظام آدمية كانت مدفونة فى المطمورة ومعها جسم الجريمة، ومع ذلك فإن الجريمة الفعلية لم تثبت. وعندى قليل من الشك فى أن عائلة «ويسلى» لو كان لديها معرفة سطحية عن كيفية التفاهم مع مضايقيها بالحديث معهم، لاستطاعت هى أيضا أن تصل إلى معرفة الدافع للمضايقة.

إنه ليبدو فى الغالب أن شخصاً ما قد اختُصرت حياته قسراً وبقسوة على حين فجأة، فاضطر إلى أن يتلقى بعض المخزون من القوة الحيوية المدخرة التى يمكن أن تظل تعبر عن نفسها بقدر محدود وبأسلوب عجيب غير مألوف وبشكل ضار.

وبعد ذلك الوقت كانت عندى تجربة شخصية فريدة وغريبة من ذلك النوع الذى يمكن أن أصفه فى نهاية هذا البحث.

ومنذ تلك الفترة من الزمن حتى وقت الحرب واصلت البحث فى الساعات القليلة التى كنت أفرغ فيها من شواغل الحياة مكرساً انتباهى لهذا الموضوع. وكانت لى تجربة من سلسلة جلسات روحية انتهت بنتائج مذهلة للغاية، تتضمن عدة تجسدات مرئية[١٩]

في ضوء خافت. ولما كان الوسيط ظاهراً للعيان وفي وضع يبعد عنه الخداع أو التحايل، ومحاطا بجميع الاحتياطات الصارمة لكشف احتمال التدليس إن وُجد، فإني بعد ذلك قد أزلت عنه هذه الصفة لثبوت البينة. وفي الوقت نفسه أظن أن الافتراض واضح جداً بأن في حالة بعض الوسطاء مثل «إيسوبيا بالادينو» ربما تقع عليهم تهمة التدليس عندما تخذلهم قواهم الطبيعية المجهولة وتتخلى عنهم.

ومع ذلك فإنهم، في أوقات أخرى، يحصلون على مواهب حقيقية غير زائفة، وينالون هبات صادقة خالية من الرياء والتكلف. فالوساطة في أدنى صورها إنما هي موهبة طبيعية على درجة كبيرة من النقاء والصفاء، وليس لها صلة البتة بالأخلاقيات. وهي متقطعة غير متواصلة في كثير من الحالات. ولا يمكن التحكم فيها أو السيطرة عليها حسب الإرادة أو متى يشاء المرء.

لقد اتهمت «أسابيا» مرتين على الأقل بالتدليس الأخرق والاحتيال الأحمق في حين أنها اجتازت بنجاح باهر عدة امتّحانات صارمة، عقدت لها أمام لجان علمية على يد عدد من أبرز العلماء ذوى الأسماء اللامعة في فرنسا وإيطاليا وانجلترا. ومع ذلك، فأنا شخصيا أفضّل أن أتوقف عن تسجيل تجاربي مع وسيط مشكوك فيه وغير موثوق به. وأعتقد أن جميع الظواهر الفيزيقية التي تتم في الظلام لابد - بالضرورة - أن تفقد الكثير من أهميتها وقيمتها، إلاّ إذا كانت مقرونة برسائل برهانية تؤكد صحتها.

إنها عادة مألوفة عند نقادنا وهي أنك إذا انصرفت عن الوسطاء الذين أدركهم التعب أو الاضطراب فعليك أن تنصرف عن جميع بيّناتك. والأمر ليس كذلك على الإطلاق. وحتى ذلك الوقت الذي

وقع فيه هذا الحادث لم أجلس أبداً مع وسيط محترف. ومع ذلك فقد جمعت حقا بعض البيّنات.

لقد عرض أعظم الوسطاء جميعا «د.د. هوم» ظواهره فى وضح النهار، وكان مستعداً للتقدم إلى أى اختبار، ولم يثبت ضده أى اتهام بالتدليس. وكان الحال كذلك مع آخرين كثيرين. غير أن من الإنصاف أن أذكر بالإضافة إلى ذلك أن الوسيط العام عندما يكون علامة حسنة الظاهر للباحثين عن الشهرة، والكشّافين الهواة، ومخبرى الصحف الذين يميلون إلى معالجة الموضوعات المثيرة؛ وعندما يعالج الظواهر المحيرة الغامضة غير الواضحة، ويضطر إلى الدفاع عن نفسه أمام المحلفين والقضاة الذين - كقاعدة عامة - لا يعرفون شيئا عن الحالات التى تؤثر على الظواهر، فقد يكون عجيبا إذا أمكن الرجل أن يجتاز طريقه ويصل إلى ما يقصده بدون فضيحة عرضية. وفى الوقت ذاته فإن النظام السليم لدفع الأجر حسب النتائج - وهو النظام المعمول به حاليا، والذى يقضى بأن الوسيط إذا لم يأت بنتائج فلن يستطيع أن يحصل على أجر - فهو نظام فاسد.

لقد سجلت الآن بيانا عن خط سير تحولى الفكرى وتطوره حتى وقت الحرب. وأستطيع أن أدّعى - آملاً - أن يكون بياننا متأنيا، متروياً فيه، لا يشير إلى آثار تلك السذاجة التى اتهمنا بها خصومنا المناوئون. لقد كان بياننا مدروساً متروياً فيه لأنى كنت متوانيا وبطيئا - وأستحق اللوم على ذلك - فى وضع أى فيض صغير يمكن أن أمتلكه، فى ميزان الحقيقة.

وربما كنت منساقا طوال حياتى كلها، كباحث فى العلوم

الروحية، معلنا الود لما يكون ملائما لمزاجي، ولكنه موقف محبٍّ للفنون مولع بها تجاه الموضوع برمته، كما لو كان في حوار عن شيء موضوعي غير متأثر بالشعور الشخصي مثل وجود «قارة أتلنتس»[٢٠]، أو «الخلافات البيكونية»[٢١]، ولكن الحرب قد جاءت.

ولما اندلعت نيران الحرب أذكت في نفوسنا الاهتمام والجد والحماسة وجعلتنا ننظر بكل دقة وبكل انتباه إلى معتقداتنا الشخصية ونتفحصها بعناية ثم نعّدل تقدير قيمتها وأهميتها. وفي حضرة عالَم يتعذب عذابا أليما، نسمع فيه كل يوم عن القتلى من زهرات شباب ذرياتنا في أول تباشير حياتهم التي كانت مليئة بالأمل للبلوغ إلى النجاح والنبوغ. ونرى من حولنا الزوجات الثكالى والأمهات اللواتي لا يعلمن عن من يحببن شيئا ولا يعرفن لهم في الدنيا مكانا.

لقد خيّل إليّ فجأة أن هذا الموضوع الذي طالما داعبته لم يكن مجرد دراسة لقوة خارجة عن قوانين العلم، ولكنه كان شيئا هائلاً ومروعاً حقا، هو: تحطيم الأسوار بين عالمين؛ ورسالة مباشرة لا تنكر من العالم الآخر؛ ودعوة للأمل والرجاء؛ واستدعاء لمرشد للسلالة البشرية في وقت تعاني فيه أعمق حالات الكرب وأشد صنوف المحن.

وأما الجانب الموضوعي لهذا الموضوع فقد توقفت أهميته لأنه قرر بأن هناك في الحقيقة نهاية الأمر. وأما الجانب الديني فقد كانت أهميته واضحة غاية الوضوح. إن جرس الهاتف لا يعدو أن يكون في حد ذاته عملاً صبيانيا، ولكنه ربما يكون أشارة الخطر لرسالة حيوية جداً.

وظهر أن كل تلك الظواهر، كبيرة كانت أو صغيرة، كانت أجراس هاتف فارغة فى ذات نفسها ولا معنى لها. أنذرت الجنس البشرى برنينها المتواصل بدون جدوى: «هبوا أيها الناس! .. أفيقوا من سباتكم، واستعدوا للعمل .. كونوا موضع الاعتماد فى الملمات.. تنبهوا وكونوا على حذر .. هاكم علامات من أجلكم ستقودكم إلى الرسالة التى يشاء الله أن يبعثها لكم» ولقد كانت الرسالة وليست العلامات هى التى كان ينبغى أن تقدر ويحسب حسابها .. وإنه لكشف روحى جديد آن له أن يظهر ليكون سبيلا لخلاص السلالة البشرية وتحريرها.

إن غرضى الأساسى هو أن الظواهر الفيزيقية التى تم التحقق منها تماماً لدى كل من اهتم باختبار البيّنة إنما هى فى حد ذاتها قليلة الأهمية لا يعتد بها. وأن قيمتها الحقّة تكمن فى الحقيقة بأنها تساعد وتدعم وتمنح الحقيقة الموضوعية والواقع المحسوس لمجموعة هائلة من المعلومات التى يجب أن تلطف بعمق رؤيتنا الدينية السابقة. فمن المحتمل عندما نفهم الدين جيداً ونستوعبه بدقة وكما ينبغى، نجد أنه شيئا حقيقيا، صادقا، ليس وثيق صلة بالإيمان فحسب، وإنما هو أيضا تجربة فعلية وحقيقة واقعية.

هذا بالنسبة إلى ذلك الجانب من المسألة التى سأدور الآن حولها وأقلب الرأى فيها. ولكن ينبغى لى أن أضيف إلى ملاحظاتى السابقة عن التجارب الشخصية أنه – منذ نشوب الحرب – كانت عندى بعض فرص نادرة ورائعة لتعزيز وإثبات جميع الرؤى والدراسات التى تجمعت عندى من قبل فيما يختص بصحة الحقائق العامة التى وقعت عليها رؤاى وتوصلت إليها دراساتى.

ولقد جاءتنى هذه الفرص من خلال الحقيقة التى لمستها بنفسى عن فتاة كانت تعيش معنا، هى «الآنسة ل.س» ظهرت عندها قوة الكتابة التلقائية، ومن سائر أشكال الوساطة، يبدو لى أن هذه الحالة هى الوحيدة التى يجب أن تُختبر بدقة شديدة وبصلابة أشد، لأنها تعبر عن نفسها بغاية السهولة لا لتغش وتخدع بقدر ما تغش نفسها وتخدعها، وهذا شىء محفوف بالمخاطر لما ينطوى عليه من مكر وخبث ممزوجين بالبراعة .. هل الفتاة هى ذاتها التى تكتب، أو أن هناك، كما تجزم الفتاة مؤكدة، قوة تحكمها وتسيطر عليها؟..

وفى حالة «ل.س» لم يكن هناك أى إنكار بأن بعض الرسائل كانت غير صحيحة، وبالأخص فى مسألة الوقت فجاءت غير جديرة بالثقة. ولكن من ناحية أخرى، فإن الأعداد التى جاءت صادقة كانت بعيدة جداً عما يكون له صلة بأى تخمين أو صدفة. مثلا، عندما غرقت «لوزيتانيا» ونشرت صحف الصباح هنا أنه على قدر ما تعلم، ليس هناك خسائر فى الأرواح، كتبت الوسيطة فى الحال: «شىء مريع .. مريع. وسيكون له أثره فى الحرب».

ومنذ ذلك الوقت كان هذا هو الدافع القوى الأول الذى وجّه أمريكا نحو الحرب. وكانت الرسالة صادقة من كلتا الجهتين. ومرة أخرى، تنبأت بوصول برقية هامة فى يوم معيّن، وأعطت أيضا إسم مرسل البرقية، وهو شخص بعيد الاحتمال وغير متوقع. وعلى الجملة، ليس هناك من كان لديه أدنى شك في حقيقة إلهامها، ولو أن الهفوات كانت واضحة وجذيرة بالذكر. وهذا الأمر أشبه شىء بتلقى رسالة جيدة من خلال تليفون معيب.

وثمة حادث آخر وقع قبل الحرب بأيام يبرز من ذاكرتى :

توفيت فتاة في قرية ريفية، وكنت مهتما بهذه الفتاة ويهمني أمرها، فقد كانت تعاني من مرض مزمن، وعُثر على «مورفين» بجانب فراشها، وتم إجراء تحقيق رسمي عن سبب الموت الفجائي المريب، بقرار لم يفصل فيه بعد. وبعد ذلك بثمانية أيام ذهبت لآخذ مكاني في إحدى الجلسات مع السيد «قوت بيترز». وبعد أن أطال معي في حديث غامض وغير متعلق بالموضوع الذي كنا بصدده قال فجأة: (هاهنا فتاة .. إنها تستند على امرأة تكبرها في السن .. إنها تكرر كلمة «مورفيا» .. قالت الكلمة ثلاث مرات .. إنها شاردة الفكر، فاقدة الذاكرة على ما يبدو .. إنها لا تعني ما تتقول «مورفيا»). كانت هذه كلماته بالضبط. وكان التخاطر (التلباثي) خارجاً عن الموضوع ولا محل للتفكير فيه، لأن خاطري كانت تجري فيه في الوقت ذاته أفكار أخر، ولم أكن أنتظر مثل هذه الرسالة.

وبعيداً عن التجارب الشخصية، فإن هذه الحركة الروحية يجب أن تحصل على صلابة عظيمة وعلى مزيد من الإضافات المتينة من المؤلفات العجيبة الرائعة التي برزت للوجود حول هذه الحركة خلال السنوات القليلة الأخيرة. فإذا لم يكن هناك في الوجود كتب روحية أخرى خلاف الخمسة كتب التي ظهرت في السنة الأخيرة أوما يقرب من ذلك – أقصد بها «رايموند» للأستاذ «لودج»، «تحقيقات روحية» «لآرثرهيل»، «حقيقة الظواهر الروحية» للبروفيسور «كراوفورد»، «عتبة اللامنظور» للبروفيسور «باريت» «أذن ديونيسيوس» تأليف «جيرالد بالفور» – فهذه الكتب الخمسة وحدها – في رأيي – فيها الكفاية وزيادة لتوطيد أسس الحقائق لأي باحث أريب

مذعن للدليل.

وقبل الدخول فى هذا الموضوع الخاص بالكشف الروحى الجديد وكيفية تناوله واستطاعة فهمه، وماذا يحوى، أود أن أقول كلمة عن موضوع آخر هو : غالبا ما يكون لدينا خطّان للمقاومة أو للهجوم على خصومنا ومناوئينا، أولهما هو أن حقائقنا ليست صحيحة. وهذا قد انتهيت من بحثه؛ أما الآخر فهو أننا فوق أرض محرّمة، وينبغى لنا أن نهجرها ونتخلى عنها.

وعندما بدأت بتقديم الموضوع للمناقشة وحدّدت موقفى من قضية الروحية المقارنة – المدروسة والمبنية على أساس المقارنة بين الظواهر – فليس لهذه المعارضة أى معنى بالنسبة لى، أما بالنسبة للآخرين فيمكن أن أتقدم باعتبار أو اعتبارين :

الاعتبار الرئيسى هو أن الله تعالى لم يعطنا قط قوة لاستعمالها فى غير حالات معينة مهما تكن الظروف. وأن الحقيقة التى نعرفها ونمتلكها هى فى ذاتها البرهان الذى هو واجبنا الملْزِم لدراستها والكشف عنها وتنميتها.

حقيقة أن هذه القوة، مثل أية قوة أخرى، يمكن أن يُساء استعمالها إذا نحن فقدنا صوابنا وحسّنا العام بالإتساق والانسجام. ولكننى أكرر القول مرة أخرى بأن مجرد امتلاك هذه القوة يعتبر مبرراً قوياً لسبب كونها مطابقة للقانون، مطيعة له وملتزمة بما تعتاده.

ويجب أن نذكر أيضا أن تلك الصيحة التى تنادى بأن هناك علوماً محظورة ومعارف محرّمة وغير مشروعة، مستندة فى ذلك

إلى قليل أو كثير من النصوص المنتحلة التى تناسب المقام – تلك الصيحة إنما تقوم ضد كل تقدم للعلوم الإنسانية. ولا يمكن أن يكون مصدرها الوحى المقدس.

ولقد قامت هذه الصيحة من قبل ضد علم الفلك واضطر جاليليو حين ذاك بالتخلى علناً عن معتقده والاعتراف بالخطأ. كما قامت أيضا ضد جالفانى واكتشافه للكهرباء. وضد داروين الذى اتهمه رجال الدين بالكفر والإلحاد بزعم أنه ينكر وجود الله حيث ينسب إلى الطبيعة ما يحدث من تطور فى الكائنات. حتى لقد قامت أيضا ضد استعمال «سيمبسون» للكلوروفورم «البنج» فى الولادة، على أساس أن الإنجيل قد وضّح : «بالألم ستلدينهم» ولا ريب أن الذريعة أو الحجة التى أُخذ بها فى أحوال كثيرة جداً، وفى أحوال كثيرة جداً تم التنازل والعدول عنها، لا يمكن أن ينظر إليها جدّيا أو يهتم بها أو تؤخذ بعين الاعتبار.

فإلى هؤلاء الذين لا تزال النواحى اللاهوتية حجر عثرة أمامهم، يمكننى أن أوصيهم بقراءة كتابين صغيرين قام بتأليف كل منهما رجل من رجال الدين. الأول هو كتاب «هل الروحية من الشيطان؟» تأليف المحترم «فيلدنج أولد»، ثمن النسخة منه بنسان؛ والكتاب الآخر هو «نفسنا بعد الوفاة» لمؤلفه المحترم «آرثر تشامبر». وأستطيع أيضا أن أوصى بقراءة مؤلفات «القس شارلس تويدال» فى الموضوع ذاته. ولعلى أضيف أنى عندما بدأت لأول مرة أن أعلن فى الناس عامة وجهات نظرى فى البحث، ودراساتى الخاصة فى الموضوع، تلقيت كثيراً من خطابات التعاطف والمشاركة الوجدانية، وكان أولها من رئيس الشمامسة السابق «ويلبرفورس».

هؤلاء بعض اللاهوتيين ممن لا يناوئون مثل هذا المعتقد الديني أو يعارضونه فحسب، ولكنهم يبذلون كل جهد مستطاع للتعبير عن رأيهم بأن الظواهر الروحية والرسائل لا يمكن أن تأتى من «عفاريت» أو شياطين أو من أشخاص شريرين بارعين فى انتحال شخصية موتانا، أو الإدعاء بأنهم مرشدون علويون. إنه من الصعب أن نفكر أن أولئك الذين يعارضون الروحية ويدّعون عليها هذا الادعاء كانت لهم أية تجربة شخصية عن أثر العزاء والسمو والترقية فى مثل تلك الاتصالات الروحية على الذين يتلقونها.

لقد ترك «راسكين» بياناً سجّل فيه أن اقتناعه وإيمانه الراسخ بالحياة الأخرى جاء عن طريق الروحية، ومع ذلك، فقد أضاف إلى ذلك البيان - ناكراً للجميل ومخالفاً للمنطق - أنه وهو يدرك هذا لا يريد أن يكون لديه المزيد مما قد يحتاج إليه. ولن يكون سعيداً إذا حصل عليه متنكراً لنعمة الإيمان بالخلود التى قدّمت إليه فى يقين عن طريق الروحية.

وهناك، مع ذلك، كثيرون لا يحصى عددهم من ذوى المناصب العالية ممن يمكنهم أن يعلنوا صراحة وبدون أى تحفظ أنهم تحولوا من المادية إلى اعتقاد بالحياة الآخرة، بكل ما يتضمنه هذا الاعتقاد عن طريق دراسة هذا الموضوع.

هوامش وتعليقات للمترجم

(١) light مجلة شهرية متخصصة تهتم بالعلوم الروحية والبحوث النفسية أنشئت عام ١٨٨١ مقرها : Queensberry Palace, South Kensington, London, S.W. 7 16

(٢) نظرية تقول بأن المادة هى الحقيقة الوحيدة، وبأن الوجود ومظاهره وعملياته يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج للمادة. و«المادية» : هى الإنشغال بالشئون المادية بدلاً من الفلسفية أو الروحية.

(٣) وعاء مشتمل على مواد لتوليد الكهرباء بالفعل الكيميائى.

(٤) Conscious Pressure

(٥) المقراب : التليسكوب

(٦) كانت جلساتهم الاختبارية غير موفقة لأنه أشار بأنها خرقاء حمقاء – وقد وضع هو التفسير بنفسه أول الفكرة – إذ أن الباحثين معه كانوا من المتشككين فلم تكن أفكارهم مستعدة لتقبل الحق.

(٧) شعبة فى أدارة البريد تحوّل إليها الرسائل الميتة لكى تفتح ثم تتلف أو تعاد إلى مرسليها.

(٨) يعدّ «دانيل دانجلاس هوم» من أقوى وسطاء القرن الماضى، وكان من أصل اسكتلندى عريق، ولم يكن موسراً، ومع ذلك كانت جلساته مجانية دائما لأنه كان يعلم جيداً أنه يقوم برسالة أسمى كثيراً من رسالة جمع المادة. وكانت وساطة «هوم» فى حضور «سير وليم كروكس» تجعل الأكورديون يعزف ألحانا جميلة، وهو داخل قفص حديدى موضوع تحت مائدة فى غير متناول الوسيط. كما كان الأكورديون ذاته يعزف أحيانا وهو يجوب فى جو الغرفة. هذا فضلاً عن ارتفاع الوسيط بكرسيه فوق الأرض إلى أبعاد مختلفة. ويقول «سير وليم كروكس» فى كتابه «بحوث فى ظواهر الروحية»: «وحدث

مع مستر هوم أعجب ما شاهدت في هذا الصدد، من طيران الآدميين في الهواء. ففي ثلاث مرات متباعدة رأيته يطير مرتفعاً عن الأرض. مرة وهو جالس فوق كرسيه، وأخرى وهو راكع عليه، وثالثة وهو واقف فوق الكرسي. وفي كل مرة كنت أراقب ذلك بنفسي أشد مراقبة أثناء وقوفه ويوجد على الأقل مائة مثل دونتها عن طيرانه مرتفعاً عن الأرض أمام كثيرين» وللزيادة في المعرفة راجع :«مفصل الإنسان روح لا جسد» للدكتور رؤوف عبيد، الجزء الأول ص ٤٥٩ – وكتاب «الوساطة الروحية» بقلم عبد اللطيف الدمياطي صفحة ١١٠ – ١١٤ .

(٩) «رايموند : هو ابن العالم السير أوليفر لودج الذي بعث عن طريق وساطة مستر لينور بيير – الرسالة الروحية الشهيرة من عالم الروح إلى أبيه، وهي تلك الرسالة التي أحدثت ضجة كبيرة في الأوساط المثقفة».

(١٠) الجنرال غوردون : كانت الحكومة المصرية قد عينته حاكما للأقاليم الإستوائية. وكان قد وفق هو ومساعدوه من اكتشاف الأجزاء التي لم يوفق «سبيك» و«بيكر» إلى كشفها من المجرى الرئيسي للنهر في تلك الجهات.

(١١) التقرير المشار إليه والذي علق عليه آرثر كونان دويل – والذي جاوز خمسمائة صفحة – يعتبر وثيقة هامة في تاريخ الروحية التي أذيع أمرها في العالم منذ سنة ١٨٧١ وطبعت وترجمت إلى أغلب اللغات الحية – عدا اللغة العربية – فهزت في أواخر القرن الماضي أركان البيئات العلمية، بالنظر إلى خطورة البيانات التي تتضمنها، وإلى ضخامة أسماء بعض الموقعين عليها، وقد بلغوا أربعة وثلاثين عالماً من أفضل علماء بلادهم في ذلك التاريخ.

وهذا التقرير مثبت بالتفصيل في كتاب «مفصل الإنسان روح لا جسد» الجزء الأول الطبعة الرابعة ص ٣٥٩ / ٣٦٢ . كما علق المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي على نفس التقرير في كتابه «على أطلال المذهب المادي» الجزء الثاني ص ٢٤ / ٢٥ .

(١٢) المذهب الحسي : هو المذهب الفلسفي القائل بأن معارفنا إمـ

إحساسات أو راجعة إلى إحساسات، وأن جميع الفكرات مستمدة من الإحساس وحده. وهو بذلك يرد المعقول إلى المحسوس.

(١٣) جبال روكى : هى سلسلة الجبال الصخرية العظيمة المحاذية لشاطىء أمريكا الشمالية الغربى، وهى أشبه بالأرض الجرداء.

(١٤) الخصوصية : كون الشيء متميزاً أو فريداً أو غير مألوف.

(١٥) فردريك مايرز (١٨٤٣ - ١٩٠١): عالم النفس المعروف - كان أستاذاً لعلم النفس بجامعة كمبردج. تعتبر بحوثه فى العقل الباطن من أعمق ما كتب فيه حتى الآن. وقد ظل مايرز من أهم الأعضاء العاملين فى جمعية البحث الروحى حتى انتقاله. ومجلدات هذه الجمعية التى صدرت أثناء حياته حافلة ببحوثه في الروحية.

وبعد انتقال «مايرز» إلى العالم الآخر سنة ١٩٠١ ظلت روحه على صلة وثيقة بعدد من الدوائر الروحية، وأثبت شخصيته لعدد من كبار الباحثين، كما أملى معلومات قيمة عن عالم الروح وعن نفسية الإنسان وعواطفه فى بعض عوالم ما بعد المادة.

(١٦) من الثابت علميا بعد ذلك، أن طاقة الضياء لا تفنى وإنما تنطلق إلى عالم الطاقة. وثبت علميا أنه يمكن جمع هذه الطاقة ثانية، أو استخدامها فى عمل آخر.

(١٧) Analogy

(١٨) أرواح مشاغبة كثيرة الصخب ينسب إليها ما يصدر من أصوات مجهولة المصدر.

(١٩) التجّسد : اتخاذ الروح شكلا مرئيا أو مجّسداً.

(٢٠) جزيرة خرافية أشار إليها الفيلسوف أفلاطون فى كتاباته وقال إنها كانت تقع فى المحيط الأطلسى، غرب جبل طارق، وأنها غارت فى أعماق المحيط بفعل عوامل جغرافية منذ ١٣ ألف سنة.

(٢١) نسبة إلى فلسفة اللورد فرانسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) وهو أديب وفيلسوف إنجليزى مؤسس النزعة التجريبية الحديثة في العلم والفلسفة. ألف كتاب «الأورجانون الجديد» معارضا به منطق أرسطو ومنهجه في القياس. وهو الذى قيل عنه أنه هو الكاتب الحقيقى لجميع الأعمال المنسوبة لشكسبير.

الفصل الثانى

الكشف

أستطيع الآن أن أنتقل – وأنا أشعر بشىء من الراحة والارتياح – إلى رأى أكثر موضوعية، وغير متأثر بالشعور الشخصى، فى هذا الموضوع العظيم.

سبق أن أشرنا من قبل إشارة عابرة إلى مجموعة من التعاليم الجديدة، فمن أين تأتى هذه التعاليم؟ .. إنها تأتى فى الغالب الأعم، عن طريق الكتابة التلقائية، حيث تكون يد الوسيط الآدمى مُهَيمنًا عليها، إما من إنسان ثبت انتقاله إلى العالم الآخر، كما فى حالة «الآنسة جوليا آمس»، أو من معلم غير منظور من مستوى أرقى كما فى حالة «الأسقف ستانتون موزس».

وهذه الاتصالات المتبادلة من طريق الكتابة قد أُضيف إليها عدد وافر من التفوهات الغيبوبية، ومن الرسائل الشفهية التى أملتها الأرواح من خلال شفاه الوسطاء. وتأتى هذه الاتصالات، فى أحيان كثيرة، عن طريق الأصوات المباشرة كما فى الحالات العديدة التى وصفها «الأميرال أسبورن مور» باسهاب فى كتابه «الأصوات».

وكانت هذه الأتصالات تتم بين الحين والحين على مرأى من الناس عن طريق الدائرة المنزلية، والمائدة المتحركة، كما حدث – على سبيل المثال – فى الحالتين اللتين سبق أن ذكرتهما من

قبل ضمن تجاربى الشخصية. وفى أحيان أخرى كانت تأتى عن طريق يد طفل صغير كما فى الحالة التى دوّنتها «السيدة دى مورجان».

إننا الآن، بطبيعة الحال، نجد أنفسنا على الفور فى مواجهة مع الاعتراض أو الرفض الصريح – كيف نعرف أن هذه الرسائل آتية حقا من العالم الآخر؟ .. وكيف نعرف أن الوسيط لا يكتب وهو فى حالة وعى وإدراك؟ .. أو ما إذا كان حدوث ذلك بعيد الاحتمال، وأن الكتابة إنما تتم لا شعوريا عن طريق ذاته الأسمى؟[1].

وهذا تنديد ونقد صريح لا نرفضه، بل علينا أن نلجأ إليه ونستعمله بمنتهى الدقة فى كل حالة من الحالات. ذلك لأن العالم كله إذا أصبح مليئا بالدعاة الثانويين، غير الراشدين، يشرح كل منهم وجهة نظره الخاصة عن الحالة الدينية دون ما بيّنة أو برهان يؤيد به الإصرار على زعمه، فإننا سنعود القهقرى حتما إلى العصور المظلمة فيما يتعلق بالإيمان المطلق بمفهومه الضمنى. والجواب الذى يجب أن يكون، هو : إننا فى حاجة إلى البراهين التى يمكن أن نختبرها قبل أن نوافق على القضايا التى لا يمكننا اختبارها[2].

لقد كانوا فى العصور القديمة يطلبون من النبى علامة أو معجزة، وإنه لطلب معقول ولا يزال سارى المفعول، ولا نزال نتمسك به حتى اليوم. فلو أن شخصا جاءنى وقدّم لى تقريراً عن حياة فى عالم ما بعيد عن العوالم التى نعيش فيها، ولم يكُ لديه أية وثائق يعتد بها لتؤكد قوله وتسند زعمه، فليس من شك أن هذا التقرير إن لم يكن برهان صدق سيكون مكانه الطبيعى فى سلة المهملات بدلاً من أن يكون على مكتبى.

إن الحياة قصيرة جداً لوزن حسنات وفضائل مثل هذا النتاج من غير تأثر بالعواطف الشخصية. ولكن إذا كانت المبادىء التى يقال إنها تأتى من العالم الآخر مصحوبة بعدد كبير من المواهب غير المألوفة، كما فى حالة «ستينتون موزس» مع «تعاليمه الروحية» - وستينتون هذا كان واحداً من أعظم الوسطاء الروحيين الذين أنجبتهم إنجلترا على الإطلاق - فإنى إذن أنظر إلى الأمر نظرة جادة وقورة، ولابد أن أوليه اهتماماً شديداً.

ومن ناحية أخرى، لو أن «الآنسة جوليا آمس» تستطيع أن تخبر «السيد ستيد» بأشياء عن حياتها الأرضية لم يكن لديها أى علم بها، وإذا كانت تلك الأشياء قد ثبتت صحتها بعد اختبار دقيق من كرام موثوق فى صدقهم ومروءتهم ومكانتهم العلمية، إذن فالشخص لابد أن تكون لديه الرغبة الشديدة للتفكير العميق ثم التصديق بما يعرض عليه فى أن تلك الأشياء التى لم يجر عليها اختبار، صحيحة أيضا وحقيقية.

مرة أخرى، إذا كان «رايموند» قد استطاع أن يخبرنا عن صورة فوتوغرافية لم تصل إلى انجلترا نسخة منها، وثبت بالبرهان القاطع أنها مطابقة تماماً لوصفه، وإذا استطاع أن يعطينا من خلال شفاه أناس غرباء كل كبيرة وصغيرة من تفاصيل حياته المنزلية الخاصة التى أكد صحتها أقرب الناس إليه قبل أن يكتشفوا أنها صحيحة وصادقة، أليس من المعقول أن يكون دقيقا كل الدقة فى وصفه للتجارب الخاصة به وبحالة الحياة فى نفس اللحظة التى يتم فيها الاتصال؟ ..

أو عندما يتلقى «آرثر هل» رسائل من أناس لم يُسمع عنهم من

قبل، ثم يتحقق بعد ذلك صدقها فى كل تفاصيلها، ألا يكون هذا استدلالاً واضحاً على أنهم يقولون الحقائق؟! وكذلك عندما يلقون الضوء على حالتهم الحاضرة؟ .. ألا يستدعى كل ذلك من العقلاء حفزاً لهممهم ليدرسوا الأمر ويتأكدوا من هذه العلاقات العظيمة بتلك العوالم غير المنظورة؟ ..

إن الحالات متعددة الأشكال، متنوعة السمات. وإنى إنما أشير إلى قليل منها. ولكن نقطتى الأساس - من أدنى ظاهرة فيزيقية وهى الدقات على المنضدة، إلى أعلى درجات التفوه الإلهامى - هى أن تلك الحالات كلٌ تام ووحدة كاملة متكاملة لا تتجزأ. كل حلقة منها مربوطة فى الحلقة التى تليها، موصولة بها. وأن النهاية المتواضعة لهذه الحلقة حينما وضعت فى يد البشرية، إنما كان ذلك لأنها قد تستطيع - بالإجتهاد والعقل والاقتناع بالحجة والمنطق - أن تتلمس طريقها إلى أعلا حتى تصل إلى الإلهام الذى ينتظرها فى نهاية الأمر.

لا تهزأن بالبدايات المتواضعة، ولا تسخرنَّ من رفع منضدة أو ارتفاع آلة موسيقية فى الهواء، مهما يكن ما تلاقيه مثل هذه الظواهر من سباب أو سوء استعمال أو زيف. ولكن تذكر أن سقوط تفاحة من شجرتها علّمنا الجاذبية، وغليان الماء فى «غلاية الشاى» علمنا كيف نصنع القاطرة البخارية، وارتعاش ساق الضفدعة بعد موتها بفترة أطلق العنان لآفاق الفكر وقطار التجربة حتى وصل بنا إلى الكهرباء .. وهكذا قد نضجت ثمار ظواهر قرية «هايدزفيل»[٣] التى بلغت حد الكمال وجذبت انتباه النخبة الممتازة من المثقفين فى هذه البلدة خلال العشرين سنة الأخيرة[٤] والتى قُدِّر لها، فى

اعتقادى، أن تحدث أعظم تطور لتجربة بشرية فى العالم أجمع[٥].

ولقد تأكد عند عدد من الرجال الذين أولونى ثقتهم وتقديرهم العميق – نخص بالذكر منهم رجلاً فذاً ذا مكانة عالية وشهرة فائقة هو «السير وليم باريت» – أن البحوث الروحية تختلف تمام الإختلاف عن الدين. وإنها بالتأكيد لكذلك. بمعنى أن رجلاً ما ربما يكون باحثا روحياً كبيراً ولكنه قد يكون رديئا جداً. ولكن نتائج البحث الروحى، والاستدلالات التى يمكننا استنتاجها، والدروس التى يمكن أن نحفظها عن ظهر قلب، تعلمنا الكثير عن استمرار حياة الروح، وعن طبيعة تلك الحياة، وكيف أنها كانت تؤثر فى سلوكنا فى الحياة الدنيا. فإذا كان فى هذا اختلاف عن الدين، فإنى يجب أن أعترف بأنى لا أفهم الاختلاف. ففى رأيى أنه دين، ومن صميم الدين، بل هو جوهر الدين[٦].

نحن – البشر والأمم – بكل تأكيد مُفرَّقين ومشتت شملنا بما فيه الكفاية. وبالأخرى فإنى أرى أن الروحية هى القوة الجامعة الموحّدة العظمى، وهى الشيء الوحيد الذى يمكن إثباته بالدليل، وهى التى تربط كل الأديان بعضها ببعض قديمها وحاضرها، وهى التى تصوغ وتشكل وتكيف المبدأ الأساسى العام الموحّد للكلمة، والذى تقوم عليه الأديان جميعاً.

إن السلالات الجنوبية تميل دائما إلى طلب ما هو أقل فى البساطة والتقشف من السلالات الشمالية. والسلالات الغربية تنزع دائما إلى أن تكون أكثر انتقاداً من السلالات الشرقية. والمرء لا يستطيع أن يشكل الجميع فى مستوى متشابه. ولكن إذا كانت مقدمات المجلس المنطقية التى تكفلها تلك التعاليم الآتية من العالم

الآخر مقبولة، إذن فالسلالات البشرية تكون قد خطت خطوة واسعة نحو السلام والوحدة الدينية. وهنا يواجهنا سؤال، هو : كيف كان لهذا التأثير علاقة أو أثر فى الديانات والفلسفات القديمة التى أثرت فى أعمال الناس؟..

والجواب هو أن هذا «الكشف الجديد» مقدّر ومحتوم على نحو جازم بالنسبة لواحدة فحسب من تلك المعتقدات أو الفلسفات، وهذا بالنسبة للمادية. وإنى لا أقول هذا بروح تنطوى على خصومة أو عداء للماديين الذين يعتبرون حتى الآن كمجموعة منظمة، وأحسب أنهم جادون ومهذبون كأى طبقة أخرى. ولكن الحقيقة الواضحة الصريحة هى أن الروح إذا أمكن أن تعيش بدون مادة، إذن لانهارت المادية من أساسها وذهبت هباء، ولتحطمت كل نظم الفكر وأصبحت أنقاضاً.

أما بالنسبة للمذاهب والمعتقدات الأخرى، فإنه يجب الاعتراف بأن قبول التعاليم التى تأتينا من العالم الآخر، والموافقة عليها يمكن أن يقوم بتعديل الديانة المسيحية التقليدية. وهذه التعديلات تستطيع أن تكون - بلا أدنى ريب - فى اتجاه النقاش الذى يهدف إلى إزالة الخلاف، وبالتالى إلى التفاهم والمصالحة، وإلى التنمية والرقى بدلاً من التناقض والمعارضة؛ وتستطيع أن تتصدى لسوء الفهم المتزمت الذى أساء إلى كل رجل متأمل جاد فى تفكيره واهتماماته؛ وتستطيع أيضا أن تؤكد وتؤيد حقيقة الحياة بعد الموت، وتجعل منها أساساً لكل دين.

وإنها لتؤكد أن «من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره». وتبين أن كل امرىء سينال جزاءه إن خيراً

فخير وإن شراً فشر. وتؤكد وجود مخلوقات علوية سامية تعرف بالملائكة، وببلوغ السيد المسيح الدرجة القصوى فى عالمه العالى اللانهائى غير المحدود، الذى نربطه بفكرة «الله» مصدر كل قوة وكل طاقة. وتستطيع أن تؤكد وتؤيد وجود الجنة ونعيمها، وحالة الجزاء المؤقت التى تتطابق مع «المطهر»(٧) .. أكثر من تطابقها مع الجحيم.

وهكذا فإن هذا «الكشف الجديد» بالنسبة لمعظم النقط الأساسية ليس هداماً للمعتقدات القديمة، ويجب أن يحظى بالتحية والترحيب من جانب رجال جادين من جميع المذاهب والعقائد حتى يكونوا حلفاء أقوياء وأصدقاء أوفياء بدلاً من أن يكونوا أعداء خطرين من إخوان الشياطين ..

ومن ناحية أخرى، دعنا نتجه إلى النقاط التى يجب أن تتكيف فيها المسيحية مع هذا «الكشف الجديد».

إنى أود أولاً وقبل كل شىء أن أشير إلى هذا الذى يجب أن يكون واضحا للكثيرين مهما يكن عدم رضائهم عنه :

إن المسيحية يجب أن تتغير وإلاّ فإنها يجب أن تبيد وتتلاشى. هذا هو قانون الحياة – إن الأشياء يجب أن تكيف نفسها وإلاّ فسيكون مصيرها الفناء. لقد أجّلت المسيحية التأخير أمداً طويلا طويلاً .. أخّرته إلى أن أصبحت كنائسها شبه خاوية، وحتى أصبحت النساء هن المشرفات الرئيسيات عليها. وحتى تحّول عنها وانفض من حولها كلٌ من جمهور العلماء والمثقفين من جهة، والطبقة الفقيرة من جهة أخرى. سواء كان فى المدينة أو فى القرية ..

فلنحاول أن نتتبع الأثر لهذه البواعث. وإنها لواضحة كل الوضوح في جميع الطوائف، وإنها لتأتي من بعض أسباب عامة متطرفة.

لقد نفر الناس لأنهم - بصراحة - لا يصدقون الحقائق حينما تقدَّم لهم على أنها صادقة. فلقد انتهك إدراكهم وإحساسهم عن مفهوم العدل. فالمرء لا يستطيع أن يرى العدل في التضحية عن الآخرين أو لمصلحتهم، ولا في الرب المعبود الذي يمكن ترضيته وتطييب خاطره بمثل تلك الوسائل. وهناك أيضا كثيرون ممن لا يمكنهم فهم تلك العبارات والاصطلاحات مثل : «الخلاص من الخطيئة»، و«التطهير بدم الخروف» (كناية عن الفداء الذي بذله المسيح لخلاصهم)، و«تقديم القرابين»، وغيرها ..

وطالما كان هناك أي تساؤل عن «الخروج من الجنة» فهناك على الأقل نوع من الإيضاحات أو الشروح لمثل تلك الاصطلاحات. ولكن عندما أصبح من المؤكد أن الإنسان لم يسقط أبداً - عندما استطعنا بكل ما لدينا من علم أوسع ومعرفة أكمل من أيما وقت مضى، أن نتأثر ونتعقب منحدرين عبر إنسان العصر الحجري إلى الوراء في تلك العصور البعيدة المظلمة الموغلة في القدم عندما تطور ببطء إلى إنسان أقرب شبها إلى القرد - وإذا نحن التفتنا بأفكارنا إلى الخلف ووقفنا نتأمل في كل تلك السلسلة المتوالية من الحياة، لأدركنا أنها إنما تنهض دائما وتسمو أبداً من درجة أعلى.

ولم يك هناك البتة أي دليل على الهبوط. ولكن إذا لم يكن هناك هبوط، إذن ماذا حدث فيما يتعلق: بآلام المسيح وموته (تكفيرا عن خطايا البشر)؛ والخلاص من الخطيئة؛ والخطيئة الأصلية؛ والجزء

الكبير من الفلسفة الرمزية المسيحية؟ إن هذه الأمور حتى لو كانت معقولة فى حد ذاتها كما هى، فهى غير مقبولة فى الواقع، فإنها سوف تظل منفصلة تمام الانفصال وبعيدة كل البعد عن الحقائق.

ولقد كان هناك أيضا تضارب فى الأقوال عن موت المسيح.. فليس عجيبا أو غريبا أو غير مألوف أن يموت المسيح من أجل فكرة. وكل ديانة فيها بالمثل شهداء ضحوا بحياتهم فى سبيل الدين أو المبدأ. والناس يموتون دائما وباستمرار فى سبيل معتقداتهم. ولقد راح آلاف من شبابنا فى فرنسا بسبب ذلك. وبناء على ذلك فإن موت السيد المسيح، الذى وصفته رواية الإنجيل بأنه كان جميلاً، بدا فيه التظاهر بأهمية غير ملائمة، وكأنها ظاهرة طبيعية منفصلة لرجل كان عليه أن يموت بسبب سعيه للإصلاح ..

وفى اعتقادى أن الأهمية التى علقت على موت السيد المسيح بقدر ما كانت كبيرة جداً، كانت بالنسبة لحياته صغيرة جداً، وفى غاية الضآلة. تلك الحياة التى تكمن فيها العظمة الحقيقية، حيث كانت العبرة درساً مفيداً.

لقد كانت هذه الحياة – التى لا يَبين لنا فيها أية ميزة ليست جميلة حتى فى تلك السجلات المحدودة – حياة مليئة بالتسامح مع الآخرين، وعدم التعصب، والقدرة على الاحتمال، والمحبة، والإحسان، والعطف؛ حياة مليئة بالرفق وسعة الصدر والشجاعة .. حياة متجددة فى تقدم مستمر دائما، مفتوحة للأفكار الجديدة.

ومع ذلك فهو لا يسخر أبداً من تلك الأفكار التى كان يستأصلها من جذورها ليُحلَّ محلها ما هو أنقى وأطهر، ولو أنه بين الفينة

والفينة كان ينفد صبره من شدة تعصبهم وضيق أفقهم. لاسيما إذا كان الفرد يهيم حباً للتأهب فى الحصول على روح الدين، ضارباً عرض الحائط بالنصوص والشكليات الفارغة، والإلتزام بالعرف والتقاليد. وليس هناك البتة أى إنسان غيره لديه مثل هذه الفطرة السليمة للحكم على الأشياء بصورة صائبة وحصيفة، أو مثل هذا الانعطاف بالمشاركة بالعواطف والأحاسيس.

لقد كانت هذه الحياة عجيبة وغير عادية .. ويالها من حياة!! هذه الحياة هى التى يجب أن يكون لها عندنا الأهمية الكبرى، وليس موته الذى هو المركز الرئيسى للديانة المسيحية.

ولننظر الآن إلى النور الذى توصلنا إليه من الأرواح المرشدة عن هذه القضية الخاصة بالدين المسيحى :

إن العقيدة ليست على نسق أو نمط واحد هناك فى العالم الآخر على الإطلاق أكثر مما هى عليه هنا فى الحياة الدنيا. وإنما هى قراءة عدد من الرسائل فى هذا الموضوع يتساوى بعضها مع بعض. وهناك كثير من الأرواح العالية بمصاحبة موتانا ممن سبقونا إلى الحياة الآخرة، وهم يختلفون فى الدرجات. ويمكن أن تسمى هذه الأرواح العالية «ملائكة» لتكون على صلة بالفكرة الدينية القديمة. ويعلو فوق كل هؤلاء، الروح الأعظم الذى يستمدون منه ويتلقون عنه : العلم والمعرفة والحكمة والإدراك - وليس عن الله مباشرة، إذ أن الله لا متناه وغير محدود، لا يحده زمان ولا مكان، وأبعد عن مدى الإدراك والفهم والمعرفة - ولكنه واحد قريب من الله لدرجة جعلته رسولاً ونبيا مباركا. ذلك هو عيسى بن مريم، روح القدس.

وكانت عنايته الخاصة وكل اهتمامه بـالأرض، تلك الأرض التى ولد على أديمهـا، ونـال فيهـا مـا نالـه مـن أذى واضطهـاد فى وقت كان فيه الفساد متفشيا، والعبث ضارباً أطنابه كمـا هـو الآن، كيمـا يعطى النـاس درساً فى الحيـاة المثاليـة. ثـم عـاد إلى مكانـه العلىّ الخاص به تاركا وراءه مُثلاً لاتـزال تحتـذى حتى اليـوم.

هذه هى قصة المسيح كما روتها الأرواح. ليس لدينا هنـا شىء عـن آلام المسيـح وموتـه، ولا عـن تكفيـره عـن خطايـا البشر، أو الخلاص من الخطيئة. ولكن لدينا نظام معقول تماماً، ومحتمل على نحو كامل يمكن أن يتقبله الإنسان ويؤمـن بـه.

فلو أن وجهة النظر المسيحية هذه حازت القبـول عنـد جمهـور المسيحيين وسُلّم بصِحَتها عموما، ولو أنهـا وضعت مـوضع التنفيـذ عن طريق الثقة والإثبات والتوكيد والشرح مع الاستعانـة بالأمثلـة أو التجارب من «الكشف الجديد» الـذى تلقينـاه مـن الجـانب الآخـر، إذن لكانت لدينا العقيدة التى يمكن أن توحّد الكنائس، والتى يمكن أن تتصالح مع العلـم، والتى يمكـن أن تتحـدى كـل هجـوم، والتى يمكن أن تجعل الإيمان المسيحى يواصل سيره ونشاطه رغم العقبات إلى مالا نهاية. ومن ثم يمكن لـ : «العقل والايمان» فى أخـر الأمـر أن يتصالحا ويتم التوفيق بينهما، وبالتالى ينزاح الكابوس عن عقولنـا وبصائرنا، وينشر السلام الـروحى لـواءه على الأرض.

إننى لا أرى أن مثل هذه النتائج ستأتى كفتح مفاجىء أو كثورة عنيفة غير عادية. ولكنها بالأحرى سـتأتى كاختـراق هـادىء مسالـم مثل بعض الأفكار الفجـة كفكـرة «الجحيـم الأبـدى» التى تـلاشت وذوت رويداً وبلطف بعيداً عن حياة الإنسان. ومع ذلك، فـإن تربـة

النفس البشرية حينما «تعزقها» المعاناة، و«تحرثها» المكابدة، وتغدو ممهدة للزرع، فإن بذور الحقيقة ستنبت فيها نبتا طيبا، ومن ثم فإن بعض المحصول الروحى المستقبل سينمو حتما ويزدهر مع نبات هذه الأيام التى نعيشها.

إننى حينما أقرأ «العهد الجديد» وعندى ما عندى من المعرفة عن «الروحية» أجد نفسى يسارياً، وعندى إيمان راسخ بأن تعاليم المسيح كانت فى معظم النواحى الهامة مضيَّعة، وما ضيَّعها إلاَّ الكنيسة المبكرة التى حالت دون وصول هذه التعاليم إلينا .. وكل تلك التلميحات وتلك الإشارات الضمنية غير المباشرة إلى قهر الموت والانتصار عليه، ليست لها - كما يبدو لى - إلاّ معنى تافهاً لا يعتد به فى الفلسفة المسيحية الحاضرة، فى حين أنه بالنسبة لأولئك الذين رأوا، ولو بغير وضوح أو تمييز من وراء حجاب، والذين لمسوا، ولو بخفة وبغير اهتمام، الأيدى الممدودة لنا من العالم الآخر، أن الموت فى الواقع شيء آخر غير الذى فهموه.

ونحن حينما نقرأ الكثير جداً من المراجع الخاصة بالظواهر التى اعتدناها كالاستطارة، وألسنة اللهب، واندفاع الهواء، والمواهب الروحية، وصنع الأعاجيب، إلى آخر هذه الظواهر، نشعر بأن الحقيقة الرئيسية لكل ذلك، ولاستمرار دوام الحياة، والاتصال بالموتى، كان معروفا منذ قديم بكل تأكيد.

يسترعى انتباهنا القول المأثور: «إنه لم يصنع العجائب ولم يجترح المعجزات لأن الناس كانوا ضعاف الإيمان» .. ألم يكن هذا مطابقا بكل ما فى الكلمة من معنى، وعلى نحو جازم للقانون الروحى كما نعرفه، خارجًا عن نطاق نواميس الفيزياء المعروفة؟..

والمسيح عندما لمسته المرأة المريضة وقال: «من الذى لمسنى؟ كثير من الفضيلة قد انتقلت منى»[8] هل كان قوله هذا أوضح مما يقوله الآن المعالج الروحى لولا أنه استعمل كلمة «قوة» أو «طاقة» بدلاً من كلمة «فضيلة»؛ وعندما نقرأ: «جرب الأرواح إذا كانت خيّرة وطيبة ومن عند الله» .. أليست هذه هى النصيحة الغالية التى يمكن أن تُسدى إلى المترهب عندما يثير الموضوع اهتمامه ويود الحضور فى جلسة من جلسات الاتصال الروحى؟..

إنها قضايا عريضة ومسائل ضخمة بالنسبة لى كيما أشير إلى أكثر من دليل. ولكننى أعتقد أن هذا الموضوع، الذى تهاجمه الكنائس المسيحية المتحجرة فى الوقت الحاضر هجوماً عنيفا قاسياً، إنما هو فى الحقيقة من صميم التعاليم الرئيسية للمسيحية ذاتها.

ولهؤلاء الذين يحبون أن يقرءوا كثيراً فى هذا الحقل من الفكر، أقدّم تزكيتى لكتاب «يسوع الناصرى» للدكتور أبراهام والاس، إذا لم تكن قد نفدت طبعة هذا المؤلف القيم الذى يوضح فيه كاتبه بالدليل القاطع أن معجزات المسيح كانت كلها من صميم قانون القوى الروحية كما نفهمه فى الوقت الحاضر. وكانت على نفس الطريقة المحكمة والأسلوب الدقيق الذى يسير عليه هذا القانون حتى فى أصغر التفاصيل ..

وضرب لنا المؤلف مثلين فى هذا الكتيب الذى لقى نجاحاً عظيما. أحدهما، وقد أقنعنى كحقيقة، هو التأكد بأن قصة التجسد التى حدثت للنبيين فوق الجبل – بروزهما فجأة واتخاذ روحهما شكلاً مرئياً مجسَّدًا – كانت صحيحة ومدققة. وكانت هذه الواقعة غير عادية إذا طبِّق عليها قانون الروحية. وهناك أيضا الحقيقة التى

تؤكد أن بطرس الرسول، ويعقوب، ويوحنا، قد استولت عليهم الدهشة، وتملكهم الخوف «ولقد قام هؤلاء الثلاثة بتكوين دائرة روحية عندما عاد الميت إلى الحياة، وكانوا أكثر الجماعة نفعًا ومساعدة للغير».

علاوة على ذلك كانت هناك النخبة الممتازة من : النغم النقى السامى الذى يتردد صداه فوق الجبل؛ ونعاس الوسطاء المرافقين؛ والتجلى (تغيير هيئة المسيح على الجبل؛ والثياب المضيئة؛ والسحابة؛ والكلمات التى تقول : «دعنا نصنع ثلاث مظال» مع النص البديل: «دعنا نصنع ثلاثة أكواخ صغيرة» (الطريقة المثالية لتكثيف الطاقة وتقديم التجسدات)..

فهذه الأشياء كلها تضع نظرة ثابتة لا تتغير لطبيعة الإجراءات لتتم الظواهر الروحية كما ينبغى ..

«وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين ليصلى، وتغيّرت هيئة وجهه قدامهم. وصارت ثيابه بيضاء جداً كالنور. وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا. اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذى كان عنيداً أن يكمله فى أورشليم. وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم. فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه. وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلم جيّد أن تكون ههنا. فلنضع ثلاث مظال. لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة. وهو لا يعلم ما يتكلم به إذ كانوا مرتعبين. وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيِّرة ظللّتهم وجاء صوت من السحابة. ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً. فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا. فرفعو

أعينهم ونظروا حولهم بغتة ولم يروا أحداً إلاّ يسوع وحده»[٩]

وفيما يتعلق بالمسائل الأخرى فإن قائمة المواهب التى يتقدم بها القديس بولس كضرورة هامة بالنسبة «للحوارى المسيحى» إنما هى بكل بساطة نفس قائمة المواهب الخاصة بوسيط على درجة كبيرة من القوة وتشتمل على : النبوءة، والعلاج الروحى، والإتيان بالخوارق (أو الظواهر الروحية)، والجلاء البصرى، والجلاء السمعى، وقوى كثيرة أخرى غير ذلك.

«وأما من جهة المواهب الروحية أيها الإخوة فلست أريد أن تجهلوا. أنتم تعلمون أنكم كنتم أما منقادين إلى الأوثان البكم كما كنتم تساقون. لذلك أعرفكم أن ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما. وليس أحد يقدر أن يقول يسوع ربٌّ إلاّ بالروح القدس. فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد. وأنواع خِدَم موجودة ولكن الرب واحد. وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل. ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحدٍ يعطى بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علمٍ بحسب الروح الواحد. ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر عمل قوّاتٍ ولآخر نبوّة ولآخر تمييز أرواح. ولآخر أنواع ألسنةٍ. ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء»[١٠].

* * *

لقد كانت الكنيسة المسيحية المبكرة مشبعة بالروحية، ويبدو

أن رجال الكنيسة لم يعطوا أى اهتمام لتلك التحريمات التى جاءت فى العهد القديم والتى كان يقصد منها الاحتفاظ بهذه القوى لفائدة جماعة الكهنة فقط ولمصلحتهم الذاتية الخاصة[١١].

هوامش وتعليقات للمترجم

(١) الذات الأسمى: هى «الأنا الأعلى» عند علماء النفس.

(٢) حقيقة نحن - كروحيين درسوا كثيراً عن حقائق عالم الروح، وكصوفيين لهم خبرة ووعى عن عوالم الإلهام من العالم الآخر - لا نرفض هذا النقد بل نؤيده. ونطلب لكل من كرّس جهوده لتلقى الهدْى والإلهام من العالم الآخر أن يتأكد، وأن يتطهر لتلقى الإلهام من عالم أسمى من عالمنا المادى. وإلاّ فإن العبث واللامبالاة تفتح للإنسان فى قلبه مجالات لتلقى الهوس والاضطرابات النفسية، حيث إن عوالم النفوس مستعدة لهذا الإلهام واستخدام النفوس البشرية فى قضاء مآربها.

ولقد شرح القرآن العظيم هذه المجالات الدنيا، وهذه التطلعات السامية فى قانونين من الوحى فقال عن عالم النفوس والجن:

«وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون» (سورة الأنعام: آية ١١٢»

وقال: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا» (سورة الجن: آية ٦)

وقال: «ويوم يحشرهم جميعا يا معْشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجّلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء الله، إن ربك حكيم عليم» (سورة الأنعام: آية ١٢٨)

أما وحى السمو والصفاء، كالإلهام العالى، والحكمة، والتقى، فيقول الحق سبحانه وتعالى:

«إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون» (سورة فصلت: آية ٣٠)

ويقول جل شأنه: «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلاّ أنا فاتقون» (سورة النحل: آية ٢)

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسوه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الرحمن فيمن عنده».

هذا فريق وذلك فريق .. «كلاًّ نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا» (سورة الإسراء: آية ٢٠)

لقد ظلت الإنسانية فى جهالتها، طالما هى فى قطيعة من الاتصال بالسماء. وتلك هى الفترات التى تخللت ما بين رسالات الأنبياء كما قال الحق سبحانه: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير» (سورة المائدة: آية ١٨)

ولم تعرف الإنسانية صفاء فى قلوبها، واستقامة فى سلوكها، وسكينة فى أعماقها، وإشراقا فى عقولها، ودفعة فى عزائمها إلى البناء والتعمير والإصلاح، والتشييد الحضارى لعمران الأرض، وإقامة الأسرة السعيدة والمجتمع الفاضل - نقول: لم يتم للإنسانية دفعة حضارية، أو سمو أخلاقى فى مجتمعاتها إلاّ على أثر الاتصال بالسماء، يبدأ بنبى ملهم فرّغه الحق لتلقى وحيه من جنود سمواته، ومن روح قدسه. فكان كل نبى إيذاناً بعصر جديد لمجتمعه وأمته.

وحتى الإصلاحات الكبرى فى التاريخ التى تمت فى غير مواطن النبوات المعلومة، كانت بدايتها حكماء ألهموا رشاداً وسمواً من فوق الطاقة البشرية العادية ودون معلمين. فسقراط أبو الفلسفة اليونانية، وأبو الوحى والحكمة لأوربا من بعد، وتلاميذه الحكماء، أفلاطون ومدرسته، وأرسطو وتلاميذه، كان يصرح بقوله: «إنى أشعر بمن يحدثنى فى قلبى» أى إنه كان يتلقى وحياً وإلهاماً من السمو الأعلى.

وبوذا بدعوته للسلام العظيم، وزرادشت الحكيم، وكونفوشيوس

المصلح الحكيم، كل أولئك كانوا بدايات لعصور للإصلاح والتعمير، ولبناء مجتمع فاضل.

وكانوا جميعا من الحكماء الذين تلقوا من الغيب أو من السماء وحياً جديداً، وحكمة رشيدة، لم يتلقوها من معلمى الأرض. والقرآن الكريم يقرر ذلك بقوله: «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما. رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما» (سورة النساء: آيتى ١٦٤ / ١٦٥)

«إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلاّ خلا فيها نذير» (سورة فاطر: آية ٢٤)

وقد مرّ بنا فى التعليق أن كل الرسالات السماوية، وكل الحضارات الأرضية إنما تمت بعد بداية الاتصال بالسماء عن طريق الرجال الأصفياء الذين اختارتهم السماء لتلقى الحكمة العليا فى النبوات، أو الحكمة السامية فى الفلسفة، والوعى الرشيد مع الحكماء.

(٣) قصة «هايدزفيل» يمكن الرجوع إليها فى كتاب «الوساطة الروحية» للأستاذ عبد اللطيف الدمياطى، وفى «مفصل الإنسان روح لا جسد» للدكتور رؤوف عبيد، وفى كتاب «الروح والخلود بين العلم والفلسفة» للدكتور عبد العزيز جادو ص ٢٥ / ٢٦ ، وفى كتاب «ما وراء الموت» لكارليل ب هينز طبعة بيروت ص ٥٣ وللإلمام بالقصة كاملة أنظر : Arthuer Conan Doyle, L.L.D. The History of Spiritualism. Vol. 1 P. 50 / 120. Lassell Ed.1926

(٤) أرجو أن يلاحظ القارىء أن هذا وقت أن وضع المؤلف هذا الكتاب فى عام ١٩١٨ . .

(٥) بل لا نكون مبالغين إذا قلنا إنها بداية عهد جديد للإنسانية تلتقى فيها بأصولها الأولى، وبالعالم الأسمى ذى القدرات الروحية المشرقة بالكمال كما وعد الله العظيم ورسول رحمته: «ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير» (سورة الشورى: آية ٢٩).

(٦) المؤلف هنا مشفق من أن يكون هناك دين جديد من وراء الروحية

لأن معناه بلبلة كبرى، إذ أن الديانات فى حقيقتها دين واحد لأنه من رب واحد هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لا تتغير ذاته ولا تتغير صفاته، ولا يتغير الحق الذى أنزله على رسله وأصفيائه. من أجل هذا كان كل نبى يصدق بالأنبياء السابقين من قبله، ويبشر بقدوم أنبياء من بعده. ويبشرون منذ الخليل ابراهيم مع النبوات القادمة بالنبى الخاتم مكمل الأنبياء والرسالات.

فهذا موسى عليه الصلاة والسلام يبشر بقدوم المسيح كرسول عظيم. (ما زال اليهود لغفلتهم عن حقيقة عيسى فى انتظاره).

وبشّر الحق فى توراة موسى بقدوم النبى الخاتم وأمته فى إصحاحاته. وفى الإنجيل الذى جاء به عيسى، والذى ما زالت آياته تتلى حتى اليوم، يقول: «ما جئت لأنقض الناموس بل لأتمّه» فهو مصدق بالتوراة التى جاء بها موسى من قبله، وبشر بالنبى الخاتم حتى فى الإصحاحات التى تتلى اليوم فى الإنجيل القائم. فهم يقولون له: أنت المسيح المنتظر، فيقول: ذاك روح الحق يأتى من بعدى يمكث فيكم إلى الأبد، ويجيبكم عن كل ما تسألون. ويقول أيضا : «إنه ينبغى أن أذهب عنكم سريعاً ليأتيكم الفرقليط» .. والفرقليط أو الباقليط كلمة سريانية ترجمتها من اليونانية إلى العربية «الذى له حمد كثير» وهو يوافق معنى محمد أو أحمد .. وما جاءت رسالة من بعده، وما جاء رسول من بعده إلاّ الإسلام مع محمد ﷺ ..

وفى القرآن الكريم عنه ﷺ ..: « .. ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحّرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون» (سورة الأعراف: آيتى ١٥٥ و ١٥٦).

فنحن فى الحقيقة أمام رسالة واحدة من السماء، هى رسالة التوحيد فى الحق بالحق، ورسالة الكمال البشرى، ورسالة الخلود فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. وتلك هى حقيقة وجوهر الرسالات السماوية.

فالديانات فى حقيقتها واحدة. ومن أجل هذا رأينا الروحية فى كل دوائرها تبشر بالإخاء الإنسانى، والمحبة والرحمة والإحسان. فمن كان يملك النور والحكمة والضياء واليقين فليبذل من كرم الله فيه ما استطاع للجميع دون منٍّ ولا افتخار .. وهو الأمر الذى قال عنه السيد المسيح فى الإنجيل: كونوا كشمس الله تشرق على الأشرار كما تشرق على الأبرار، لا تفرق بينهم لأنهم جميعاً أبناء الحق، أبناء روح الحياة، والتى هى من أمر الله الذى خلق الإنسان لنفسه، وخلق الإنس والجن لعبادته ومعرفته.

وهذا هو معنى ما قاله القرآن الكريم: «من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له، وله أجر كريم».

فنحن أمام رسالة الروح التى هى بيان هذه الرسالات جميعا، لأنها اتصال علوى عظيم بالأنبياء جميعا وبالملائكة والقديسين والصديقين والشهداء والصالحين كما وعدت الديانات. وكما وعد القرآن العظيم: «ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير»
صدق الله العظيم

(٧) «المطهر» عند النصارى هو موطن تطهر فيه نفوس الأبرار – الذين كانت لهم اقترافات السوء – بعد الموت بعذاب محدود الأجل. أى إنه موضع أو (حالة) عذاب أو عقاب مؤقتة. واصطلح علماء المسلمين على تسميته بـ «الأعراف»، وهو حاجز بين الجنة والنار، «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم، لم يدخلوها وهم يطمعون» (الأعراف: آية ٤٦).

(٨) النص كما جاء فى إنجيل لوقا : الإصحاح الثامن، الآيات ٤٣ – ٥٦ هو: «وامرأة ينزف دم منذ اثنتى عشرة سنة وقد انفقت كل معيشتها للأطباء لم تقدر أن تشفى من أحد. جاءت من ورائه ولمست هُدْب ثوبه. ففى الحال وقف نزف دمها. فقال يسوع من الذى لمسنى. وإذ كان الجميع ينكرون قال بطرس والذين معه يا معلم الجميع يضيقون عليك ويزحمونك وتقول من الذى لمسنى. فقال يسوع قد لمسنى واحد لأنى علمت أن قوة قد خرجت منى. فلما

رأت المرأة أنها لم تختف جاءت مرتعدة وخرّت له وأخبرته قدام جميع الشعب لأى سبب لمسته وكيف برئت فى الحال. فقال لها ثقى يا إبنة، إيمانك قد شفاك. إذهبى بسلام».

(٩) إنجيل لوقا: الإصحاح ٩ عد ٢٨ – ٣٦ ، وإنجيل مرقص: الإصحاح ٩ عد ٢ – ١٣ ، وإنجيل متى: الإصحاح ١٧ عد ١ – ٨ .

(١٠) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح الثانى عشر: عد ٤ – ١١ .

(١١) وفى هذا المعنى يقول «هانن سوافر» نقيب الصحافة البريطانية فى كتابه «قصتى العظمى» الذى ترجمه إلى العربية الدكتور رؤوف عبيد وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس (ص ١٢٧ / ١٢٨: « .. وكان آدمس من الوسطاء غير المحترفين، وأحد أربعة وضعوا أنفسهم تحت تصرفى باستمرار، عندما بدأت بحوثى الروحية. وهؤلاء إنما يطبقون الوساطة التى كانت فى مبدأ المسيحية. ولم يكن الأمر فى نظر القائمين بالتطبيق يمثل اعتقاداً دينيا، بل فحسب صورة من صور التوحيد بالله، مضافا إليها الإتصال بالروح. وكان ذلك قبل مؤتمر «نيقية» الذى عقد فى سنة ٣٢٥ ميلادية، والذى ألغى ممارسة الوساطة من التطبيق المسيحى، لأنه لا يصح أن يوجد البابا وأن توجد فى نفس الوقت أرواح مرشدة تعارضه. لكن كان هذا مع ذلك هو الأسلوب الذى يتبعه كثيرون من أتباع يسوع.

«وفى هذا الشأن يقول بولس الرسول فى الفصل الثانى عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «وأما من جهة المواهب الروحية.. إلى آخر الإصحاح»

«ويقول الدارسون إن هذا القول كتب فى عام ٥٩ بعد الميلاد، ومع ذلك ففى عام ١٩٢٨ يكتب بعض المفسّرين فى الكنيسة الانجليكانية، بعد قضاء عدة سنين فى عمل «تعليق جديد على الكتاب المقدس» قائلاً: «إن تمييز الأرواح يبدو كما لو كان موهبة خاصة. وتبين أنه لم يكن من السهل دائما التحقق من قيمة الحدث الروحى ومن صحته»، مع أن تمييز أرواح تعبير إما يعنى رؤية الأرواح، وإما لا يعنى شيئا على الإطلاق.

ولو أن اللاهوتيين المثقفين رأوا بعض الظواهر التى حدثت قوية عندما كنا نتناول الشاى فى منزلى الذى يطل على ميدان «الطرف الأغر» لعلموا شيئا عن ماهية هذه «المواهب الروحية» التى يتحدث عنها بولس الرسول. وهذه المواهب ليست كلها روحية فى المعنى المسيحى كما عليك أن تراه، وذلك لأن الكائنات التى تحيا بعد الموت كائنات آدمية وليست إلهية!»

ويقول «هانن سوافر» أيضا فى الصفحة ١٦٧: «وفى دائرتى الروحية الخاصة التى أنشأتها فى سنة ١٩٣٠ كنا نختبر كل صيغة معروفة للظواهر الروحية بعد ثلاث سنوات من الجلسات الأسبوعية. ولقد بدأت الدائرة بالجلاء البصرى والجلاء السمعى. وبعد الغيبوبة نمت وساطة الصوت المباشر، ثم سرعان ما تضمنت الظواهر: الأضواء الروحية، والطرقات، والروائح العطرية،، والعلاج، ورفع الأجسام، وأخيراً التجسدات.

وكل هذه المواهب الروحية وضعها القديس بولس فى الفصل الثانى عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس بوصفها جزءاً طبيعيا من العبادة الكنسية الأولى، وسرعان ما نمت كلها فى دائرتى المنزلية الخاصة. وكنا جميعا غير محترفين، وما جربناه بأنفسنا يمكن للكثيرين منكم أن يجربوه، لأن الملكات الروحية ليست شاذة بل طبيعية».

الفصل الثالث

الحيــاة القادمــة

لنترك الآن هذا الموضوع الواسع، المترامى الأطـراف، والمثير للنزاع فيما يختص بالتعديلات التى يجب أن تحدثها هذه الإلهامات الجديدة فى المسيحية.

إنه لموضوع إذا أردنا أن نستوفيه حقه مـن البحث، ففى وسعنا أن نستمر فى الخوض فيـه إلى مـدى بعيـد. فلنتركـه الآن ونحـاول أن نتابع بانتباه وإهتمام ما يحدث لـلإنسان بعـد المـوت ...

إن البينة على هذه النقطة كاملة تماما، ومستقيمـة وثابتـة. فلقـد تم استلام عدد وافر مـن الرسائـل التى بعث بهـا المـوتى فى بلـدان عديدة وفى أوقات مختلفة، تنطوى على قـدر كبيـر عـن معلومـات وأشياء حدثت فى هذه الحياة الدنيا يمكن أن تؤكد صحة الرسائل.

وحين تأتى هذه الرسائل على هذا النحو، فحرى أن يكون ذلك وحده مبشراً بالنجاح، وأن يكون علامة طيبة تجعلنا – فيمـا أعتقـد – نتصور أو نفترض لو كان الـذى يمكننـا أن نختبـره حقيقيـا، إذن فالـذى لا يمكننـا اختبـاره لابـد أن يكـون حقيقى أيضا. وبالإضافـة إلى ذلك أننا عندما نجد تشابهـاً كبيـراً ومماثلـة شديـدة جـداً فيمـا تحتويه الرسائل من التفصيلات التى لم تكن منسجمة تماماً مـع أى نهج أو نظام للفكر عن الوجـود السبقى أو القبلى[1]، فإنى أرى أن

أفتراض الصدق قوى جداً.

ومن الصعب أن يخطر على بالنا أن خمس عشرة رسالة أو عشرين رسالة – عندى بيانات شخصية عنها – ترد إلينا متطابقة كلها بعضها مع بعض، ومع ذلك تكون كلها خاطئة أو غير صحيحة. وليس من السهل كذلك أن نتصور أن الأرواح التى يمكنها أن تقول الصدق عن عالمنا الدنيوى، تكون غير صادقة فى حديثها عن عالمها الخاص بها ..

ولقد تسلمت منذ وقت قريب، فى أسبوع واحد، تقريرين عن الحياة فى العالم الآخر. استلمت أحدهما مناولة باليد من أحد أقاربى، وهو صاحب مقام كبير، ورئيس دينى فى الكنيسة فى حين تسلمت الرسالة الأخرى عن طريق زوجة عامل ميكانيكى فى مدينة «اسكتلندة»، ولم يكن أحدهما يعرف عن الآخر شيئاً ولا عن محل إقامته. ومع ذلك فقد جاء التقريران متشابهان تماماً كما لو كان أحدهما منقول عن الآخر. فالرسالة بناء على ذلك، تعطينا مزيداً من القوة والطمأنينه والتوكيد، سواء فيما يتعلق بقضائنا وقدرنا أو فيما يتصل بأصدقائنا.

ولقد اتفق كل من غادرونا إلى الحياة الأخرى على أن الموت سهل دائماً؛ ولا ألم فيه، ويتبعه رد فعل هائل من السلام والراحة والطمأنينة. إذ أن الفرد يجد نفسه فى جسم روحى، أثيرى، وهو بالضبط النظير لجسده القديم الذى يشبهه غاية الشبه(٢). غير أنه خال من جميع تلك العاهات الجسدية. ليست به علة، ولايشوبه أى ضعف أو أية تشوهات. فلقد انتقل من حالة إلى أخرى.

ويظل هـذا الجسم الأثيـرى واقفـاً أو سابحـاً باستمـرار بجـانب الجسد القديم. ولايدرك المنتقل حالته الجديدة على الفـور، ولكنـه يظل فى حيرة مـن أمـره، ويحتـاج إلى وقت يتفـاوت طـولاً وقصراً ليتعرف فيه على نفسه، وهذا أمر يتوقف على درجة إعداده الذهنى. وقد يذهلـه أن يـرى نفسه واقفـا بالقـرب مـن جسده يتأملـه خامـداً لاحراك فيه. ويرى من حوله أقاربه ومن كانوا على صلـة بـه، كمـا يسمع أصواتهم. ولكن شيئاً فشيئا تتلاشى هذه الحالة كمـا يتـلاشى الحلم إلى أن يعبر إلى ما بعد حالة لاشعـور جـزئى أشبـه مـا تكـون بحالة الحالـم. وفى تلك اللحظـة قـد يـذهب طيـف الميت (جسده الروحى) ومعه أفكاره ليظهر جلياً وبوضوح لشخص مـا بعيـداً عنـه بماسافات طويلة جداً.

وممن بحثوا بعناية فائقة موضوع ظهور هذه الأطياف تلقائياً «إدموند جيرنى»[٣]. وقد انتهى إلى نتائج هامة، إذ أنه حقق ٢٥٠ حالـة مـن حالات ظهور الأشباح، جاءت ١٣٤ حالة منهـا واقعيـة وصحيحـة. وأن الطيـف المطابـق لشخص الميت يظهـر فى اللحظــة التى يفنى فيهـا الجسد أو بعـد المـوت بفتـرة قصيـرة، فيتصور الفـرد أن ذلك الجسم الروحى الجديد من المحتمل أن يكون جسداً ماديـاً لدرجـة كبيرة إذ أنه يكون مرئيا للعين البشريـة المجـردة..

وهذه الحالات - كيفما تكن - نادرة جـداً إذا قـورنت بالعـدد الكلى لحالات الوفاة. وفى تصورى أن الرجل المتـوفى، فى معظـم الحالات، يكون مشغولاً بتجربته الخاصة المذهلة، حتى يكون لديـه الكثير من العناية والاهتمام بالآخرين. فسرعان ما يـرى، وياللغرابـة، أنه بالرغم من سعيه للاتصال بهؤلاء الذين يراهـم ويسمـع صوتهـم،

فإن صوته الأثيرى ولمسه الأثيرى لا يمكن أن يكون لهما أى تأثير على تلك الجوارح البشرية التى تتناسق وتتناغم فقط مع منبهات ضعيفة(٤).

إنه موضوع يبشر بالنجاح، وإنه لجدير بالتأمل والتفكر، سواء من ناحية المعرفة الكاملة، الخصبة، الحافلة بتلك الإشعاعات الضوئية التى نعرف أنها موجودة على كل جانب من جوانب الطيف(٥)؛ أو من ناحية تلك الأصوات التى نستطيع أن نختبرها ونتثبت من وجودها بواسطة ذبذبات «اهتزازات» طبلة «تليفون». وبالرغم من أن هذه الذبذبات عالية جداً بالنسبة للأذن البشرية، غير أنها قد لاتعطينا مزيداً من المعرفة الروحية.

ومع ذلك، فلنترك هذا جانبا كيما نتتبع حظوظ الروح المنتقل.. إنه يدرك فى حال وفاته أن هناك آخرين فى الغرفة بجانب هؤلاء الذين كانوا موجودين معه فى الحياة الدنيا. وهؤلاء الآخرون يبدون له كما لو كانوا بأجسام مادية تماما كالأحياء. وتظهر له وجوه يألفها. ويجد أن أولئك الذين كان يحبهم ويحبونه ثم فقدهم، يمسكون بيده ويقبلونه من شفتيه. ثم إنه وهو فى صحبتهم وبمساعدة وإرشاد بعض المخلوقات المشعّة التى كانت فى انتظار القادم الجديد، يمر من خلال جميع العوائق والحواجز الصلبة الخارجة عن حياته الجديدة.

هذا تقرير ثابت ومحدد، وهذه هى القصة التى رواها واحد بعد الآخر وكلها متسقة بعضها مع بعض، ومتوافقة فى جملتها — من جميع نواحيها العامة — وإنها لتختلف تمام الإختلاف عن أى فلسفة من الفلسفات الإلهية أو أى نظرية لاهوتيه. فالروح ليس

ملاكا كريما ولاشيطاناً مريداً محكوماً عليه باللعنة إلى يوم الدين. ولكنه بكل بساطة هو الشخص ذاته، بما فيه من كل الصفات: قوته وضعفه، حكمته وغباؤه، عواطفه وآماله، معرفته وإدراكاته، وميوله التى كانت عنده قبيل الموت مباشرة. وهو يستوعب ببطء معرفته الجديدة وتجربته بعد أن تغيرت حالته وتغير مكانه. كما أنه يظل محتفظا بمظهره الخارجي وهيئته الشخصية. وحتى بعد مرور مدة طويلة وبعد حصوله على تقدم وافر، يظل كائنا آدميا مهما أصبح له من شمائل الإنسان المتكاملة.

والآن، قبل أن يبدأ الروح الجديد حياته الجديدة، يغلب عليه النوم لفترة تختلف فى طولها. ففى بعض الأحيان لايكون هناك نوم على الإطلاق، أو يكون نادراً. ويمتد عند آخرين إلى بضع أسابيع أو شهور. وقال «رايموند» إنه استمر فى نومه لمدة ستة أيام. وكانت هذه الفترة أيضا من الحالات التى تحققت منها بنفسى. ومن جهة أخرى، فإن السيد «مايرز» قال إنه استمر فى حالة لاشعورية مدة طويلة.

ويمكننى أن أتصور أن طول المدة أو قصرها إنما ينظمها ويضبطها مقدار التعب أو مدى استغراق الروح الذهنى فى هذه الحياة. فالراحة كلما كانت أطول تعطي وسائل أفضل لمحو ذلك النوم وإبادته. ومن المحتمل أن الطفل الصغير لايحتاج إلى مثل هذه الفترة من النوم إطلاقاً. وهذه النقطة الأخيرة تدعو إلى التأمل 'متأنى والتفكير الصافى، ولكن هناك اتفاق جماعى فى الرأى جدير بالإهتمام بالنسبة لوجود فترة النسيان بعد التأثر الأول للحياة الجديدة، وقبل البدء فى مباشرة واجباتها ..

وبمجرد استيقاظ الروح من هذا النوم، يكون فى حالة من الضعف كحالة ضعف الطفل بعد ولادته الأرضية. ومهما يكن، فالقوة سرعان ما تعود إليه، ومن ثم تبدأ الحياة الجديدة. وهذا يقودنا إلى التأمل فى الجنة والنار . ويمكن أن أقول إنهما لاتوجدان إلاّ على صورة ذهنية، وأن غفران الخطايا والذنوب، والارتقاء فى الحياة الروحية، لايمكن إحرازهما إلاّ عن طريق التفكير السليم المناسب، وبما يؤدى إليه هذا التفكير من صالح الأعمال.

إنهما حالتان حقيقيتان يعدهما الإنسان لنفسه فى عالم الروح بسلوكه الذى يسلكه فى هذا العالم الأرضى. فإما ارتقاء إلى الطبقات العُليا، حيث يتسنى له أن يجد كل ما يوافق ميوله، ويتمشى مع رغباته السامية؛ وإما انحطاط إلى الدركات السفلى، حيث يلتقى بمن على شاكلته، تغطيهم جميعاً طبقات الجهل وموجات الظلام.

وإذا نحينا جانبا تلك الأجواء الاختبارية التى ينبغى أن ينظر إليها بالأحرى كمصحة للنفوس الضعيفة وليس كمركز أو مقر للعقاب والعذاب، نرى أن التقارير التى جاءتنا من العالم الآخر متفقة جميعها فى وصفها للحالات السارة البهيجة للحياة فى الآخرة.

ولقد أجمعت هذه التقارير على أن كل أمرىء يرنو إلى التقرب من شبيهه، فالشبيه منجذب هناك إلى شبيهه. وكل الذين لديهم رغبات متشابهة يتعاونون معاً. والحياة مليئة بالاهتمامات والحوافز ومختلف المهن والحرف. وإنهم لايرغبون، بأى حال من الأحوال، فى العودة إلى الأرض مرة أخرى. وهذه الأمور كلها، إنما هى بكل تأكيد، بشائر للسرور الجم والفرح العظيم.

وأكرر القول إن هذا ليس إيمانا غـامضا أو أمـلاً مبهمـاً، ولكنـه حقيقة واقعة ملموسة مؤيدة ومدعمة بكل قوانين الشواهد والبراهين التي أجمعت على أن الشهود المحايدين الموثوق بهم عندما يقدمون تقريراً متشابها مع غيره، فإن هـذا التقريـر يكـون لـه حـق الدعـوى بالمطالبة بأن يكون تقريراً صحيحاً. وإذا كـان هنـاك تقريـر أو بيـان عن النفوس الطيبـة، الممجـدة، التى تطهـرت تـواً مـن كـل ضعـف بشرى؛ وعن الابتهاج الغامر المتواصل لعبادة صاحب العرش القوى القدير المقتـدر، فقـد يكـون هنـاك أيضا بعض الوهـم أو الشك فى أن هـذا إنمـا هـو مجـرد انعكـاس لـذلك النظـام اللاهـوتى المبسط والشائع بين عامة الناس، والذى كان يتلقاه الوسطاء الروحيـون على السواء فى أيام شبابهـم.

ويختلف هذا النظام تماماً عن أى نظام كان موجـوداً مـن قبـل. ولقـد تـم تأييـده أيضا - كمـا سبـق أن أشرت - ليس عـن طريـق اتساق التقارير واستقامتها فحسب، ولكـن عـن طريـق الحقيقـة التى تؤكد أن تلك التقارير هى النتـاج الجوهـرى للسلسلـة الطويلـة مـن الظواهر التى أعلن عن صحتها كل من أولئك الذين اختبروها بعنايـة تامة وفحصوها بدقة متناهيـة.

أما فيما يتعلق بالموضوع العام عـن الحيـاة بعـد المـوت، فربمـا يقول بعض الناس إننا حصلنا على تلك المعرفة عن طريق الإيمـان.. ولكن الإيمان مهما يكن جميلاً لدى الفـرد، فغالبـا مـا يكـون عنـد الهيئات الجماعية سلاحا ذا حديـن. سيكـون الجميع على مـا يـرام إذا كان إيمان كل واحد مماثلاً لإيمـان الآخـر، وإذا كـانت بصائـر الجنس البشرى ووجداناتهم ثابتة لا تتغير ولا تتبدل .. ولكننا نعرف

أن الأمر ليس كذلك. إننا نعرف أن معنى الإيمان هو إنك تصدق تماماً شيئا لا يمكنك اختباره أو التثبت منه. فواحد من الناس يقول: «إيماني هو هذا» وآخر يقول: «إنى أومن بذاك». ولا يستطيع كل منهما أن يتثبت مما يقول.

ولذلك فهما فى نزاع دائم، وفى جدل متواصل، سواء من الناحية العقلية، أو من الناحية الفيزيقية. فإذا كان أحدهما أقوى من الآخر فإنه ينزع إلى اضطهاده ومضايقته إلى أن يرده عن رأيه وينعطف به إلى الإيمان الصحيح. ولأن فيليب الثانى كان إيمانه قويا وواضحاً، فقد قضى على مئة ألف من سكان أراضى اسكتلنده المنخفضة أملاً فى أن زملاءهم من سكان الريف يمكن أن يتحولوا إلى الحقيقة الهامة كلها.

فإذا نحن أدركنا وسلمنا بأنه من الأفضل أن يكون لنا حق المطالبة بما لا يمكننا إثباته، فسنكون حينئذ مجبرين على أن نراقب الحقائق ونتنبه لها كيما نستنبط منها ما يقنعنا، فربما نصل بعد ذلك إلى اتفاق مشترك. وهذا هو السبب الذى جعل هذه الحركة الروحية تظهر ولها هذه القيمة العظيمة وهذا النفع الجزيل .. أقدامها ثابتة وأصولها راسخة على شيء ما أكثر صلابة من التُحدار[٦]. والنواميس والحدسيات[٧]. هذا هو الاعتقاد بوجهة النظر المزدوجة عن كل من العالمين حتى يومنا هذا، بدلاً من التعاليم العتيقة التى تقول بوجود عالم واحد ..

ونحن لا يمكن أن ننظر إلى ذلك العالم القادم كما لو كان حديقة هولندية أنيقة فى مكان يمكن وصفه بسهولة. ومن المحتمل أن يكون هؤلاء المبعوثين الذين يعودون إلينا، على درجة واحدة

من الترقى، لا تزيد ولا تنقص، ويصورون لنا موجة الحياة ذاتها كأنها ترتد إلى الوراء خلف شواطئنا.

والمراسلات إنما تأتينا فى الغالب من أولئك الذين لم يمر على انتقالهم زمن بعيد. ومن المفيد فى هذه الناحية أن نلاحظ أن عودة ظهور السيد المسيح لحوارييه أو لبولس قد حدثت - كما قيل - فى خلال بضع سنين قليلة جداً من وفاته، وأن ليس هناك أى داع عند المسيحيين المبكرين ليرونه بعد ذلك. وحالات الأرواح الذين يقدمون البرهان الناصع للموثوقية، ليست حالات عامة وليست شائعة بالرغم من مرور بعض الوقت.

وهناك فى حياة «مستر داوسون روجر» حالة جيدة للروح الذى أطلق على نفسه «مانتون»، وادعى إنه ولد فى «لورنس ليديارد» ودفن فى «ستوك نيوونجتون» فى عام ١٦٧٧ ، واتضح أن ذلك الرجل كان موجوداً بالفعل، وإنه كان قسيساً ملحقا بقصر «أوليفر كروموبل». وبقدر ما تسفر عنه قراءاتى الخاصة، فإن هذا هو الروح القديم الذى تشير السجلات إلى عودته.

إذن فالفرد إنما يتوصل إلى كل وجهات نظره من الفصيلة ذاتها التى كانت عليها، ونحن لا يمكن أن نعتبر هذا الأمر نهائيا وإنما هو شيء جزئى فحسب. وكيف تستطيع الأرواح أن ترى الأشياء بضوء مختلف فى أثناء ارتقائها فى العالم الآخر، كما حدث «للآنسة جوليا آمس»[٨] التى تأثرت بهذا النور الباطنى تأثراً عميقاً منذ البداية، وألهمها بضرورة تأسيس مكتب للإتصال الروحى.

لقد اعترفت «جوليا» بعد خمس عشرة سنة، بأن ليس هناك

روحاً واحدة فى المليون من جموع الموجودين فى الجانب النائى البعيد، أبدت رغبتها فى الاتصال بنا على الإطلاق، منذ ذلك الحين الذى جاء فيه أحباؤها من بعيد. وغابت عنها الحقيقة بأنها حينما توفيت كان كل واحد ممن قابلتهم حديث الوصول مثلها.

إذن فالتقرير الذى حصلنا عليه يمكن أن يكون جزئيا، ولكنه يظل كما هو مناسباً وعلى درجة غير عادية من الأهمية. إذ أنه يشير إلى قضائنا وقدرنا، وإلى أولئك الذين نحبهم .. ولقد اتفق الجميع على إن الحياة فى العالم الآخر إنما هى لمدة محدودة. يجتازون بعدها أطواراً أخر. ولكن هناك - حسب الظاهر - اتصالات بين تلك الأطوار أو المجالات أكثر مما بيننا وبين عالم الروح. فالأرواح السفلى لا تستطيع الصعود إلى أعلى، أما الأرواح العالية فيمكنها النزول وقت ما تشاء.

والحياة هناك تشبه إلى حد كبير الحياة فى هذه الدنيا فى أحسن حالاتها. وإنها لحياة العقل بكل ما يتصف به من تفوق واستعلاء. وينطبق هذا أيضا على الجسد .. كل شىء سبق امتلاكه، وكل أمر كان يشغل البال والفكر من طعام أو مال أو اشتهاء أو طمع أو ألم أو غير ذلك، كان كل هذا خاصًا بالجسد وقد انتهى تماماً. أما الموسيقى والفنون والمعرفة العقلية والروحية والترقى، فكل ذلك فى نماء متزايد. والناس كساة، كما كان يتوقع الفرد. حيث لا يوجد أى سبب لأن تختفى الحشمة أو يزول الحياء مع أشكالنا الجديدة[٩].

وهذه الأشكال والهيئات إنما هى صورة طبق الأصل تمامًا لأجسامنا القديمة فى أحسن حالاتها؛ الصغير يزداد نموًا، والمسِنّ

يعود إلى سِنّ مناسبة حتى يصير الجميع فى معدّل طبيعى. والناس يعيشون فى جماعات مؤتلفة بعضها مع بعض .. كما يجب أن يتوقع الفرد أن كل شبيه منجذب إلى شبيهه.

والروح الذكر لا يفتأ يبحث عن قرينته أو زوجته الحقيقية. ولو إنه ليس هناك جنس بالمعنى المفهوم، وليست هناك ولادة. وما دامت العلاقات باقية والصلات مستديمة والكل على حالة مماثلة فى النمو والترقى جنبا إلى جنب، فإن الفرد يمكن أن يتوقع أن الشعوب والأمم لا تزال مشتت شملها ومنقسمة على نفسها. مع أن اللغة لم تعد عائقا أو عقبة منذ أصبح الفكر وسيلة للمخاطبة.

وكم هى محكمة ومتينة تلك الصلة التى بين النفوس المماثلة هناك فى العالم الآخر. تلك الصلة التى تكشفت لنا عن طريق الرسائل والخطابات التى أرسلها كل من «مايرز»[(١٠)] و«جيرنى» و«رودين لويل»، وكل الأصدقاء والزملاء الذين كانوا يعملون معنا فى الحياة الدنيا – وذلك بوساطة «السيدة هولاند» التى لم تكن تعرف أحداً ممن ذكرنا. وكان لكل رسالة من هذه الرسائل صفة خاصة ومميزة لأولئك الذين عرفوا هؤلاء الرجال فى الحياة الأرضية؛ أو بالطريقة التى اتبعها كل من «البروفيسور فيرال» و«البروفيسير باتشر»، وكلاهما من علماء اليونان المبرزين، فى معالجة مشكلة اليونان التى قام بتحليلها «جيرالد بالفور» فى «أذن ديونيسيوس»[(١١)]، والتوصل إلى النتيجة التى انتهت بأن ذلك المرجع النفيس قد أثبت أن التأثير لا يمكن الوصول إليه عن طريق ذاتيات أخرى سوى «فيرال» و«باتشر».

ويمكن أن نلاحظ أن هذه الأمثلة وغيرها إنما تبين بوضوح أن

الأرواح إما أن تكون عندها القدرة على الاستعانة بمكتبة عامرة بالمراجع الثمينة؛ وإما أن تكون لها ذاكرة تستطيع الحصول بها على معرفة لا حدود لها عن أى شىء. فليست هناك أية ذاكرة بشرية تستطيع أن تستوعب بسهولة جميع التفصيلات الدقيقة التى تحدث فى مثل تلك الاتصالات الروحية مثل «أذن ديونوسيس».

وتلك هى – على وجه التقريب – خطوط الحياة فى العالم الآخر بأبسط ملامحها،فهى ليست بسيطة كلها .. ولكننا نلمح بأبصارنا الكليلة غبشا من حلقات لا نهاية لها تهبط على الأرض من تحتنا حيث الظلام والكآبة؛ وحلقات لا نهاية لها ترتفعُ فوقنا صعداً إلى السعادة السماوية، حيث الجمال، والبهاء، حيث المجد، حيث الحياة الأبدية بكل ما فيها من رقى وسمو.

ولا تزال هناك نقطة واحدة يمكن أن نشير إليها هنا. وتبدو هذه النقطة لأول وهلة أنها مروعة ومفزعة، ومع ذلك يجب أن تقدم نفسها لعقلنا وإدراكنا كيما نتأملها جيداً ونمعن الفكر فيها. وهذه النقطة هى التأكيدات المستمرة التى تأتينا من الجانب الآخر من الحياة معلنة أن الذين انتقلوا حديثا لا يعرفون أنهم ماتوا، وسيطول بهم الزمن قبل أن يتيسر لهم معرفة ما هم عليه.

ولقد اتفق الجميع على أن هذه الحالة من الحيرة ضارة ومعوقة للروح، وأن بعض المعرفة عن الحقيقة الفعلية، المطابقة للواقع، فوق هذا الجانب من الحياة، إنما هى فحسب الطريق الوحيد للتحقق من عدم وجود انبهار أو إصابة بدوار فوق الجانب الآخر. وحينما تتكشف لهم حالات مختلفة عن أى شىء مما صاغته التعاليم العلمية أو الدينية، فليس من العجيب أن ينظروا إلى إحساسهم

الجديد كأنه حلم غريب.

وللمتدينين المتزمتين وجهة نظرهم التي لا يمكن بأى حال أن تسلّم أو تقتنع بقبول هذه البينة الجديدة، بالرغم من كل ذلك الذى يلمعون إليه. ولهذا السبب، ولأسباب أخرى كثيرة، كان هذا الكشف الجديد شيئا هاماً وذا فائدة عظيمة بالنسبة للبشرية جمعاء.

وثمة نقطة صغيرة ذات أهمية عملية هى أن الشيوخ الطاعنين فى السن ينبغى لهم أن يدركوا أنه ما يزال هناك ما يستوجب الاهتمام لترقية عقولهم وتهذيب مداركهم. لأنهم بالرغم من عدم وجود وقت يستفيدون فيه بمعلوماتهم النقية الصافية فى دنياهم، فستظل هذه المعلومات موجودة عندهم كجزء من عدتهم العقلية التى يتزودون بها فى أخراهم.

أما بالنسبة للتفاصيل القليلة عن ذلك العالم الآخر، فقد يكون من الأفضل أن لا نتحدث عنها ولا نبحث فيها. وذلك لسبب وجيه جداً، هو أن تلك التفاصيل قليلة. وسنتعلمها فى القريب. ولكن الفضول العقيم، وحب الاستطلاع الذى لا يجدى يدعونا للتساؤل عن هذه التفاصيل الآن.

شيء واضح كل الوضوح، هو أن هناك مخلوقات ذكية، على مستوى عال من السمو موجودة فى الجانب الآخر القائم هناك. وأن الكيمياء التركيبية التى لا تصنع المادة فحسب، ولكنها تصوغ الشكل أيضا هى أمر فى منتهى البساطة بالنسبة لهذه المخلوقات. ولكم شاهدنا هذه الكائنات وهى تقوم بعملها فى الوسطاء، ورأيناها محسوسة ملموسة لنا بحواسنا المادية، فى غرفة الجلسات الروحية.

ويمكن القول – عموماً – إن تلك المخلوقات فى وسعها أن تصنع أشياء تشبه الأشياء الموجودة على سطح الأرض .. وهذه أمور تعتبرها الأرواح الأقل تقدما مجرد تخمين وحدس. تماما كظواهر العلم الحديث بالنسبة لنا لا تخرج عن دائرة التخمين والحدس.

إذا فوجىء أحدنا بكائن ما يقيم فى عالم دوبشرى[١٢] وطلب منا أن نشرح له بدقة ماذا تكون الجاذبية، أو ما هى المغنطيسية، فكيف يكون موقفنا، وكيف يكون عجزنا؟..

إننا إذن يمكن أن نضع أنفسنا فى مكان جندى صغير مهندس مثل «رايموند لودج» الذى يحاول أن يمدنا بنظرية عن المادة فى العالم الآخر – وهى نظرية من المحتمل جداً أن تنكرها أو تكذبها روح أخرى من الأرواح التى تعتمد على الحدس والتخمين فى أمور أعلى من مستواها .. قد تصيب مرة وتخطىء مرات، ولكنها تعمل ما وسعها الجهد لتقول ما تفكر فيه، كما هو الحال عندنا فى مثل هذه الأحوال ..

وتعتقد الأرواح أن علومها الكيميائية الفائقة – التى تقع وراء نطاق الخبرة (وليس وراء نطاق المعرفة) البشرية – يمكنها أن تفعل أى شىء. وتؤمن أيضا بأن المواد غير الروحية كالكحول أو التبغ يمكن أن تقع ضمن نطاق قواها، ويمكن أن تظل من الأشياء التى ترغبها وتتوق إليها الأرواح الضالة، العنيدة، المتمسكة بعناد بالمعتقدات البالية، تلك الأرواح التى لم تهتد إلى نور الإيمان. ولقد أبهج النقاد هذا وأرضاهم لدرجة أن الواحد منهم أصبح فى إمكانه أن يفكر بحق وبصدق فى قراءة التعليقات التى كانت بمثابة التقرير الوحيد

لكتاب طبع طبعة أنيقة فى ٤٠٠ صفحة.

قد يكون «رايموند» على صواب أو يكون على خطأ. ولكن الشيء الوحيد الذى أثبته الحادث لى هو : الشجاعة التى لا تعرف النكوص أو الإحجام؛ وأمانة الرجل الذى أرّخه وعرض أحداثه وهو يعلم علم اليقين أن هذا العمل بمثابة القبضة التى صدّ بها أعداءه.

وهناك كثير ممن يؤكدون أن ذلك العالم الذى وُصف لنا إنما هو عالم مادى للغاية بحسب ميولهم وهواهم. وإنه غير ما كانوا يرغبون. نعم، هناك أشياء كثيرة فى هذا العالم تختلف تماما عما نرغب فيه ونشتهيه، ولكنها - مع ذلك - موجودة. ولكننا عندما نقرر اختبار مهمة المذهب المادى ونحاول ترتيب أو تنظيم بعض النماذج والأساليب التى يمكن أن ترضى المثاليين، فستكون المهمة شاقة جداً.

هل يتحتم علينا أن نكون مجرد خيوط رفيعة واهنة لسعادة متبخرة تسبح فى الفضاء هنا وهناك؟ .. يبدو أن هذه هى الفكرة. ولكن إذا لم يكن ثمة جسم كجسمنا، وإذا لم يك ثمة خُلُق كخلقنا، ولا شخصية كشخصيتنا، إذن قل لى ماذا تريد أن تكون.. لقد لحقنا الفناء وأصبحنا هباء.

وماذا بالنسبة لأم إذا عُرض عليها كائن مبجل مجهول؟.. إنها ستقول: «هذا ليس ابنى الذى فقدته، إننى أريد ابنى ذا الشعر الأصفر، والابتسامة الذكية، ونوبات غضبه القليلة التى أعرفها عنه جيداً» .. وذلك كل ما تريد. وهذا - كما أعتقد - هو الذى سيتحقق لها. ولكنها لن تحصل عليه عن طريق أى أسلوب أو أى

جهاز ينتزعنا بعيداً عن كل ما يذكرنا بالشيء الهام، ويأخذنا إلى منطقة غامضة تتسم بالعواطف الزائفة.

وهناك مدرسة نقد مضادة تواجه بعض الصعوبات فى تصوير حياة تنطوى على إدراك حسّى حاد، وعواطف عنيفة، وبيئة متينة، مترابطة أفرادها. وكل ذلك مرتب ومنظم فى هيئة مادة شفافة .. دعنا نذكر أن كل شيء تتوقف مقارنته على الأشياء الموجودة حوله.

وإذا نحن استطعنا أن نتخيل أو نتصور عالماً أكثف وأثقل وأعتم من عالمنا هذا ألف مرة، لأمكننا أن ندرك بوضوح أنه بالنسبة لسكانه المقيمين فيه يمكن أن يبدو الشيء نفسه تماما بالنسبة لهذا العالم، طالما كانت قواهم وتركيبهم وماديتهم متناسبة ومتناسقة. ومع ذلك، إذا كان هؤلاء السكان على اتصال مباشر بنا، فيمكن أن ينظروا إلينا كمخلوقات وهمية أو خيالية غير عادية تعيش فى جو غريب، مضيء، روحى .. ولا يمكن أن يخطر على بالهم إننا أيضا - بالنظر إلى أن مخلوقاتنا وبيئتنا فى تناسق وتناسب وانسجام بعضها مع بعض - نشعر ونعمل بالضبط كما يشعرون ويعملون.

علينا الآن أن نعتبر الحالة ما تزال هى الأخرى طوراً من أطوار الحياة التى نعيشها فى الحياة الآخرة، تماماً كالحياة فى موطن واحد مشترك فى الحياة الدنيا. وبالنسبة لنا أيضا، يبدو أن هؤلاء الناس، أو هذه الأرواح - كما نسميها - يعيشون حياة ضبابية، وحياة أطياف. ولا نعيد ما سبق ذكره من أن هناك أيضا كل شيء متناسق ومتساوق، ولذلك فإن مسكن الروح أو إقامته أو منظره الذى يمكن أن يبدو لنا كمجرد شيء نراه فى أحلامنا، إنما هو الواقع الذى

يعيش فيه الروح، تماماً كالمناظر التى لدينا والمساكن الخاصة بنـا. وأن الجسم الروحى أو الأثيرى حقيقى ومحسوس وملموس للأرواح الأخرى، كما هو الحال بيننا وبيـن أصدقائنـا.

هوامش وتعليقات للمترجم

(١) الوجود السبقي: وجود فى حالة سابقة أو قبل شيء آخر، وبخاصة: وجود النفس أو الروح قبل اتحادها بالجسد.

(٢) هذا الجسد الأثيرى يحوطه ما يعرف بالجسم المقابل، وهذا الجسم المقابل يعمل كنوع من الرداء الذى يلتف به الجسم الأثيرى ليسهل من انتقاله من المستوى العضوى إلى المستوى الثالث. ولمزيد من المعرفة، أنظر «مفصل الإنسان روح لا جسد» ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٣) إدموند جيرنى: (١٨٤٧ – ١٨٨٨) الأستاذ بجامعة كمبريدج وهو من علماء النفس الكبار، ومعروف ببحوثه فى التنويم المغنطيسى وتحليل الصلة بين الذاكرة وبين مراحل هذا التنويم، وبينها وبين ذاكرة اليقظة. كما كان معروفا ببحوثه فى التخاطر أو التلباثي. وقد درس موضوع الاتصال بأرواح الأموات ووضع فيه مؤلفاً عنوانه «أشباح الأحياء» وهو من أوائل الدراسات الهامة فى بريطانيا فى هذا الموضوع، وذلك بالاشتراك مع الأستاذين «فرانك يودمور» و«مايرز».

وقال عنه «وليم جيمس»: «من أعظم مؤلفات جيرنى مؤلفه المعروف باسم «أشباح الأحياء». ولكى يعطى للقارىء صورة واضحة للبحث المضنى الذى أجراه ذلك العلامة، يقول إنه يسرد سبعمائة حالة من حالات ظهور الأشباح. وفى كثير منها تبدو هذه الظواهر واقعية مطابقة لمصائب حدثت للشخص الذى ظهر شبحه. وبناء على نظرية التلباثي أو التخاطر هذه يمكننا أن نعتبر الأشباح حقائق موضوعية ولو أنها غير مادية».

(٤) الروح تستطيع أن تبقى فى نفس الحجرة التى تكون فيها، أو فى قطعة الفضاء نفسها التى حدث فيها الموت، أو الانفصال كما يصح أن نسميه. ولما كانت الروح تتبع مدى من الاهتزازات أعلى درجة

من مدانا فهى عندئذ تستجيب لهذه الاهتزازات، وهى لا تستطيع الاستجابة للاهتزازات الفيزيقية، لأن هذه الاستجابات كانت مستطاعة خلال الجسم الفيزيقى فقط، وهى بعد الموت لا تتأثر بالعالم الفيزيقى، وإنما تتأثر فقط بالعالم الأثيرى، لأن المادة - ما بقيت الروح فى هذا العالم - كانت وهى تهتز فى حدود معينة تصدم العقل خلال الجسم الفيزيقى.

وأما فى العالم الأثيرى فتصدم الجسم الأثيرى اهتزازات من درجة أعلى ثم تنفذ منه إلى العقل.

(٥) الطيف: صورة تحدث عند مرور الضوء الأبيض فى موشور فينحل إلى سبعة أنوار ملونة هى: الأحمر فالبرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فالنيلى فالبنفسجى (فيزيقا).

(٦) التحدار: انتقال العادات أو المعتقدات من جيل إلى جيل.

(٧) الحدسيات: مذهب يقول بأن ثمة حقائق أساسية تعرف بالحدس، ويقول بأن القيم والواجبات الأخلاقية يمكن إدراكها بالبداهة.

(٨) الروح «جوليا آمس» كانت فى حياتها الأرضية أمريكية الجنسية وتعمل محررة فى جريدة نسائية بمدينة شيكاغو، وانتقلت إلى عالم الروح فى ١٤ مارس عام ١٨٩٣ . وقد طلبت من وسيطها «مستر وليم ستيد» أن يفتتح مكتبا للاتصال بالأرواح مجانا، فافتتحه فى ٢٤ أبريل سنة ١٩٠٩ تحت اسم «مكتب جوليا».

(٩) ينبغى ابتداء القول بأن من المفروض أن يولد الجسد الأثيرى عارياً فى عالم الروح إلى أن تشعر الروح بالعرى فترتدى فوراً زيها المعتاد بحكم هذا التأثير المباشر للعقل فى المادة، فى أثناء عملية الانفصال عن الجسد المادى أو بعدها مباشرة.

أما بالنسبة للإنسان المنتقل العادى فهو يتخيل دائما أنه لا يزال فى ملابسه الأرضية المألوفة ولذا يرتديها بحسب رغبته. فتنوع الأزياء هناك كما تتنوع هنا بين مدنية وعسكرية، وبين قديمة وحديثة، وبين شرقية وغربية، وبين وقورة وغير وقورة .. بحسب رغبة الروح من جانب، وظروف البيئة التى ولدت فيها من بيئات عالم الأثير من جانب آخر.

ومن ثم فالملابس هناك تمثل جزءاً لا يتجزأ من شخصية أصحابها، وتعبر تعبيراً صادقاً عما يمثلونه من ناحية مستوى التكوين الروحى / العقلى، ولذا يقول بحاث الروحية إن الملابس تمثل هناك امتداداً صريحاً لأجساد أصحابها، وتتوقف فى النهاية على ألوان الهالات التى هى انبعاثات خارجية من الأجساد تسهم بنصيب فى صنع الملابس.

ولهذه الاعتبارات أيضا فإن هذه الملابس غير قابلة للبلى أو التمزق. وفى جلسات التجسد قام بعض العلماء بقطع بعض أجزاء منها لفحصها وتحليلها فكان الثوب المتجسد يعود سليما بمجرد رغبة الروح المتجسدة فى إصلاحه على نحو أو آخر.

تستطرد الوسيطة روزمارى براون فى وصف أرواحها المراسلة، وبيان تفاوت طباعهم وملابسهم وأساليبهم مما يشير إلى أن الشخصية الإنسانية تظل على حالها بعد الانتقال ما لم يلحقها تطور إرادى بطىء، لكن الأمر رهن فى النهاية بميول الروح، وذوقها، وبمستواها من التطور الروحى العقلى ..

لمزيد من المعرفة راجع: «مفصل الإنسان روح لا جسد» الجزء الأول ص ٥١٧/٥٥٠ والجزء الثانى ص ٣٠٤/ ٣٠٧.

(١٠) ابتكر «مايرز» طريقة فى بحثه الروحى تسمى طريقة «التراسل المتبادل»، وكانت هى الطريقة التى استعملها هو شخصيا لإثبات صحة شخصيته بعد انتقاله إلى العالم الآخر فى ١٧ يناير سنة ١٩٠١ فى أثناء زيارته لمدينة روما. ويقول الدكتور «راينور جونسون» مدير «كلية الملكة». بجامعة ملبورن إن الفكرة الأساسية فى طريقة التراسل المتبادل هذه هى الاتفاق مع الكائن غير المتجسد على تقطيع الرسالة الروحية الواحدة إلى عدة أجزاء وعبارات حتى تصبح غير مفهومة، ويرسل كل جزء منها عن طريق وسيط خاص للكتابة التلقائية، ثم يتم تجميع هذه الأجزاء بعد ورودها عن طريق وسيطين أو ثلاثة فتعود مترابطة مفهومة. وهذا وحده ينفى كل احتمالات الخداع والتلباثى وتأثير العقل الباطن.

وقد وردت عدة رسائل من روح مايرز بهذه الطريقة عن طريق أربع وسيطات معروفات وهن: السيدة ا.و.فيرال وكريمتها هيلين،

وهولاند، وليونور بيير. وقد تلقت هاته الوسيطات الأربع مجموعة وافرة من معلومات مايرز وآرائه العميقة، وأجمع عدد من كبار العلماء على أنها حاسمة في إثبات شخصيته.

(١١) ديونيسيوس: فى الأساطير اليونانية، إله الخمر، إبن زيوس وسمليوس. يعتبر سيداً للدراما. كانت تقام له الاحتفالات فى أتيكا. يعرف عند الرومان باسم «باخوس». أهم أعياده عيد ديونيسيا، وكان يقام فى الربيع.

(١٢) دوبشرى: دون البشر أو أدنى منهم.

الفصل الرابع

مشكلات وحدود

إذا توقفنا لحظة عن الحوار الواسع الذى يتعلق بخطوط هذا الكشف الجديد، وعن البراهين الواضحة لشرعيته وفعاليته، نجد بعض نقاط صغيرة تفرض نفسها علىّ، وتسترعى انتباهى فى أثناء بحث الموضوع ودراسته. ذلك أن المقر الذى يقيم فيه موتانا، يبدو أنه قريب منا جداً. قريب لدرجة أننا - كما يقولون - نزورهم باستمرار فى أحلامنا. ومعظم ذلك التسليم الهادىء والاستسلام الصامت الذى نلحظه جميعا عند الناس الذين فقدوا أحباءهم - أولئك الناس الذين يمكن أن يجن جنونهم نتيجة لهذا الفقدان - إنما يرجع إلى الحقيقة التى تؤكد أنهم قد رأوا موتاهم. وبالرغم من أن التيار الكهربائى مقطوع تماماً، وأنهم لا يستطيعون استعادة أى شىء على الإطلاق من تجربة الروح فى النوم، فإن نتيجتها المهدئة لا تزال تواصل نشاطها عن طريق الذات اللاشعورية.

وانقطاع التيار هو انقطاع تام، ولكن فى بعض الأحيان، ولسبب ما، قد يُعلَّق لفترة لا تتجاوز الكسر من الثانية. وفى تلك اللحظات القصار يعود الحالم من حلمه «ممتطيا سحب السعادة السماوية». وفى تلك اللحظات أيضا تأتى كل تلك الأحلام التنبؤية التى كثيراً ما تتحقق ويتأكد صدقها.

ولقد مرّت على تجربة شخصية حديثة عن حلم ربما لم يحقق

نفسه تماما حتى الآن، ولكنه ما يزال جديراً بالملاحظة والاهتمام. كان ذلك في اليوم الرابع من شهر أبريل الماضى (عام ١٩١٧)، حينما استيقظت من نومى وعندى شعور قوى بأن بعض اتصالات قد تمت معى لا أذكر منها سوى كلمة واحدة طفقت تدوى فى رأسى. تلك الكلمة هى «بياف». وجل اعتقادى أنى لم أسمع بهذه الكلمة من قبل. ولأن جرس الكلمة يوحى بأنها قد تكون اسماً لمكان ما، فقد بحثت عنها فى فهرس أطلس كان عندى، فوجدت أن «بياف» هو اسم حقيقى لاشك فيه وتأكدت من أنه نهر فى إيطاليا على بعد أربعين ميلاً خلف خط النار الذى كان متقدما بانتصار فى ذلك الحين.

واستطعت أن أتصور بعض أشياء أخرى غير مرغوب فيها أسوأ من تلك التى يمكن أن تردها الحرب إلى الـ «بياف». ولم أستطع أن أفكر كيف يمكن أن يحدث هناك حادث عسكرى له أهميته، ولكنى كنت برغم ذلك واقعاً تحت تأثير هذا الحادث الذى ترك فى نفسى انطباعًا قويا حتى إنى صغت بيانا صرحت فيه بأن مثل هذا الحادث يمكن أن يقع هناك. واحتفظت بهذا التقرير بعد أن وقّع عليه كاتم أسرارى الخاص، وشهدت عليه زوجتى بتوقيعها بتاريخ ٤ أبريل ..

إنها مادة تاريخية. إذ كيف تقهقرت جميع الخطوط الإيطالية بعد ذلك التاريخ بستة أشهر .. وكيف تخلت عن مواقعها على الأنهار .. وكيف توقفت عاجزة عن الحركة أو التقدم عند هذا المجرى الذى قال عنه النقاد العسكريون إنه موقع استراتيجى من المتعذر احتلاله أو الدفاع عنه.

و(أكتب فى يوم ٢٠ فبراير مـن عـام ١٩١٨)، لـو لـم يحـدث شىء أكثر من ذلك فالإشارة إلى الاسم قد تحققت تماما، مؤكـدة أن صديقا فى العالم الآخر كان يتنبأ بأحداث الحرب القادمة. ومهما يكن من أمر، فلا يزال عنـدى أمـل بـأن الكلمـة لهـا مدلـول آخـر، وإنها تفيد معنى أكثر من ذلك. وأن نصراً متوجاً للحلفـاء فى هـذه البقعة ربما يبرر فى المستقبل الطريقة الغريبـة التى انتقـل بهـا الاسم إلى عقلى.

والناس يمكنهم أن يشجبوا بعنف هذه النظريـة الخـاصة بالنـوم، على أساس معتقداتهم بأن جميع الأحلام الشاذة والمتنافرة والمغايرة لكـل مـا هـو مألـوف أو طبيعى، تلك الأحـلام الخياليـة التى تعذبنـا وتثير فينا الفـزع والهلـع، لا يمكـن أن تـأتى بـأى حـال مـن مصدر عال.

إن لى فى هذه النقطة نظرية محددة جـداً، ربمـا تكـون مـوضع نقاش جاد. فأنا أعتقد أن ثمة صورتين اثنتين للأحـلام، إثنتـان فقـط هما: تجارب الـروح الطليقـة، غيـر المقيـدة؛ والسلـوك المضطـرب للملكات العقلية الدنيا الذى يظل باقيا على حالـه فى الجسم عندمـا تغيب الروح .. الوجه الأول نادر وجميل لأن مدى أو نطاق الذاكرة الخاصة بنا يتخلى عنا ويتعـذر علينـا تبينـه؛ أمـا الوجـه الآخـر، فهـو عادى وشائع، ولكنه خيالى دائمـا وغيـر واقعى وليس كريهـا.

وبملاحظة ما قد يكون غائبا فى الأحلام الدنيـا، يستطيـع الفـرد أن يخبرنا عن ماهية الأنواع المفقودة، وأن يكوّن رأيـاً كـذلك عـن الجزء الذى يعمل فينا بفعالية لتشكيـل الـروح. وهكـذا فـإن الخُلُـق فى هذه الأحلام ناقص أو ضعيف. فى حين أننـا نـرى الأشيـاء التى

تفجئنا بعد ذلك وتؤثر فى نفوسنا سخيفة وغير مسلية. أما حاسة الاتساق والانسجام، وحاسة الحكم، وحاسة الطموح، أصبحت كلها مفقودة. وباختصار، فإن الأعلى يذهب عيانا .. والأدنى: حاسة الخوف، وحاسة الانفعال الجسدى، وحاسة الوقاية الذاتية، تقوم جميعها بأداء العمل بكل نشاط وبكل حماس، بعد أن تم إعفاؤها والإفراج عنها من القيادة العليا.

أما تحديد قوى الأرواح أو تقييدها، فهذا موضوع ثبت لنا خطؤه فى هذه الدراسات. يقول بعض الناس : «إذا كانت الأرواح موجودة فلماذا نفعل هذا أو ذاك؟» والإجابة دائما هى أن الأرواح لا تستطيع ذلك لأن لها حدوداً ثابتة ومحددة جداً كالحدود الخاصة بنا والمفروضة علينا. ويبدو هذا واضحاً غاية الوضوح مما تكشفت عنه تجارب التراسل المتبادل، حيث أجريت عمليات بين عديد من وسطاء الكتابة التلقائية، وكانوا بعيدين بعضهم عن بعض، ولا يعرف أحدهم الآخر، وكان الموضوع متفقا عليه، وبعيداً عن نطاق الصدفة.

ويبدو أن الأرواح تعرف تماماً وبالضبط أى أثر قوى ذلك الذى تخلفه فى عقول الأحياء، وياله من أثر!! ولكنها لا تعرف كيف تنقل تعليماتها. كما أن صلتها بنا متقطعة وغير متواصلة. وكثيرًا ما تسألنا الأرواح باستمرار عن طريق التراسل المتبادل : «هل توصلتم إلى نتيجة؟» .. أو «هل اقتنعتم بهذا؟»، أو «هل تم كل شىء على ما يرام؟».

وفى بعض الأحيان، يكون عندها معرفة جزئية بما يكون قد تم، كما يقول مايرز: «لقد رأيت الدائرة، ولكنها لم تكن معتمدة من جهة المثلث». ومن الواضح فى كل مكان أن تلك الأرواح،

حتى أرواح أولئك الذين يشبهون مايرز وهدسون، كانوا على صلة وثيقة وخاصة بالبحوث الروحية والنفسية. وكانوا يعرفون كل ما يمكن معرفته، ولكن كانت تعوقهم صعوبات حينما كانوا يرغبون فى الحصول على معرفة تختص بأمور مادية كوثيقة مكتوبة.

ولكن، يمكن أن أتصور أن الأرواح يمكنها أن تفعل ذلك عن طريق تجسيد نفسها تجسيداً جزئيا. وقد لا يكون لديها القدرة على التجسد الذاتى. وهذا الاعتبار يلقى بعض الضوء على القضية المشهورة.

ولقد تأكد لنا من الجانب الآخر من الحياة - ويبدو لى أن هذا التوكيد معقول - أن الأرواح حينما تتحدث عن أحوالها وحالاتها الشخصية، إنما تتحدث عما تعرف وعما تكون على استعداد لمناقشته من أمور تستطيع أن تناقشها بسهولة وعن طيب نفس وثقة. ولكن هذا لا يتم إلاّ بإلحاح وإصرار - ولابد لنا فى بعض الأحيان أن نصّر - على الاختبارات الأرضية، فتسحبها إلى مستوى آخر خاصاً بالأشياء المطلوبة، وتضعها فى مكان معين بعيد، فيه كثير من الصعوبة وأكثر تعرضا للخطأ.

ونقطة أخرى يمكن استغلالها ضدنا، وهى أن هذه الأرواح تواجه صعوبة شديدة جداً فى توصيل الأسماء إلينا، مما يجعل الكثير من مراسلاتها تأتينا مبهمة وغير مرضية، وتحدثك عن الشىء من مختلف زواياه، ولكنها - مع ذلك - لا تدلى أبداًبالاسم الذى يمكن أن يحسم الأمر أو يثبته نهائيا.

وهناك مثال لهذه النقطة هو أن اتصالاً تم حديثا مع مجلة

«لايت» يصف كيف أن ضابطا صغيراً مات منذ عهد قريب، سعى في الحصول على رسالة من خلال الصوت المباشر للسيد «سوساناه هاريس» إلى والده ولم يظفر باسمه خلال الرسالة، مع أنه كان قادراً على أن يوضح في الرسالة أن أباه كان عضوا في نادى «كولدير ستريت» بمدينة دبلن، وبالتحرى وجد الأب، حيث عُرف منه أنه تلقى رسالة مستقلة فى «دبلن» تقول إن استعلامًا وصل من لندن. ولا أدرى إن كان الاسم المعروف به فى عالم الحياة الفانية هو مجرد شيء زائل ومنفصل تماما عن الشخصية. وقد يكون الاسم أول شيء يطرح جانبا. وهذا ممكن بطبيعة الحال. وربما يكون هناك قانون يحكم علاقتنا وتعاملنا مع الجانب الآخر من الحياة حتى لا يكون التعامل مباشراً. ولكن شيئا ما ذا شأن سيترك لذكائنا المتوقد وتفكيرنا البارع.

وهذه الفكرة – التى تقول بوجود قانون يجعل الحديث غير المباشر أكثر سهولة من الحديث المباشر – قد أيدتها طريقة التراسل المتبادل، حيث يحل الإسهاب المتواصل محل الإصرار الذى لا يجدى. وكذلك بالنسبة لمراسلات القديس بولس التى تم بحثها فى «كتيب يوليو» الذى أصدرته «جمعية البحث الروحى».

وكانت فكرة القديس بولس هى نقل الرسالة من شخص عنده موهبة الكتابة التلقائية إلى شخصين آخرين، كل منهما على مسافة بعيدة عن الآخر، وليكن أحدهما فى الهند. وأعلنت روح الدكتور هدسون[1] بأنه يشرف على هذا الاختبار بنفسه.

قد يخطر على بالك أن عبارات القديس بولس البسيطة الموجودة فى المخطوطات الأخرى كانت كلها وافية بالغرض تماماً .. ولكن

لا .. فإن الدكتور هودسون يواصل العمل على نحو غير مطرد - فى جعل كل التلميحات غير المباشرة تتحدث عن كل ما يدور حول القديس بولس فى جميع النصوص المكتوبة، وقد اقتبس خمس عبارات من كتابات القديس بولس على سبيل الاستشهاد، وكانت مقنعة تماماً وبعيدة عن المصادفة، وتوضح الطريق العجيب الذى يدورون حوله بدلاً من أن يسيروا فيه رأساً.

وإذا كان بوسع الإنسان أن يتصور أن ملكاً كريما حكيما من العالم الآخر يقول : «لا تجعلها الآن سهلة جداً وبسيطة لهؤلاء الناس، بل دعهم يستعملون عقولهم قليلاً، وإلاّ فسيصيرون مجرد آلات ذاتية الحركة إذا نحن بسّطنا لهم الأمور وفعلنا لهم كل شيء» ... إذا أمكننا أن نتصور ذلك، فالقضية تكون قد عولجت بالحجة المقنعة. ومهما كان الإيضاح والشرح فهى حقيقة تستحق الملاحظة.

وهناك نقطة أساسية أخرى لها أهميتها عن الاتصالات الروحية، وهى الشك الذى يحوم حولها، وعدم التثبت من حقيقتها عندما يتدخل العنصر الزمنى. فغالباً ما يكون حساب الزمن خاطئا ومخالفا للمألوف بطريقة لا تتغير. فالزمن على الحياة الأرضية يحتمل أن يكون مختلفا تماماً عن الزمن فى الحياة الروحية. ومن هنا تأتى الحيرة والبلبلة.

ولقد كانت فرصة طيبة ذات نفع لنا فاغتنمناها .. هى حضور سيدة إلى منزلنا ظهرت عليها موهبة الوساطة للكتابة التلقائية. وكانت على صلة وثيقة بثلاثة أخوة لها ماتوا جميعا فى الحرب. وكانت هذه السيدة عندما تنقل الرسائل من اخوتها نادراً ما تخطىء فى

سردها للوقائع، ونادراً ما كانت على صواب من جهة الزمن. وكان هناك تفسير يستحق الملاحظة. ومهما يكن من أمر فهو مثير فى حد ذاته. ذلك أن تنبؤات هذه السيدة بالنسبة للوقائع العامة كانت تتحقق فى خلال أسابيع أو شهور، فلقد تنبأت فى إحدى الحالات بوصول برقية من أفريقيا فى يوم معين. وقد أرسلت البرقية فى حينها، ولكنها تأخرت فى الوصول عن موعدها. والنتيجة - كما يبدو لنا - هى أنها استطاعت أن تتنبأ بخط سير الأحداث التى كانت متحفزة للحركة فعلاً، وتجرى حساباً لتقدير المسافة التى يمكن أن تجتازها الأحداث لتصل إلى نهايتها.

ومن جهة أخرى، فإنى أرى نفسى ملزماً بأن أقرر أنها تنبأت بثقة وبدون تردد بهروب أخيها الرابع الذى كان مسجونا فى ألمانيا. ولقد تحققت هذه النبوءة فى حينها. وعلى العموم، فإن لى عقلاً متفتحا على قوى النبوءة وحدودها.

ولكن - بعيداً عن كل هذه الحدود - علينا أن نهتم للأسف الشديد بما يحدث من إزعاج وبرود شديد من قِبَل مخلوقات ذكية مولعة بالعبث أو الأذى الخفيف. وأظن أن كل شخص من المهتمين بهذا الموضوع، قد التقى بأمثلة من الخداع المتعمد المشوب أحيانا باتصالات صادقة وطيبة. وهذا - دون شك - أشبه ما يكون بالرسائل التى كتبها الحوارى حيث يقول : «أحبائى، لا تصدقوا كل روح، ولكن اختبروا الأرواح أهى من عند الله أم لا». وهذه الكلمات إنما تعنى أن المسيحيين القدامى لم يمارسوا الروحية فحسب، ولكنهم كانوا أيضا يواجهون المتاعب ذاتها.

وليس هناك ما هو مُربك ومحّير أكثر من الحقيقة التى تؤكد

أن الإنسان ربما يحصل على وصف مترابط طويل يحوى كل التفصيلات المفترضة (المحددة)، والتى يمكن أن تبرهن على إنها ملفقة تماما. ومع ذلك فنحن يجب علينا أن نضع نصب أعيننا أن لو جاءت حالة واحدة صحيحة تماماً، فهى تعوض أخطاء كثيرة. وهذا بالضبط كما لو أنك تلقيت برقية واحدة صحيحة، عليك أن تعرف أن هناك خطأ ومراسلاً ووسيلة للإتصال، مهما كثر العطل بعد ذلك.

ولكن يجب أن نعترف بأن هذا الأمر مزعج للغاية. ومفسد للنظام، مما يدعو الفرد للشك فى الرسائل حتى يتم اختبارها. وهناك نوع من التدخل غير المشروع الذى يقوم به بعض الأفراد لمجرد الخداع. فمنهم من يدعى أنه ملتون وهو لا يستطيع قراءة بيت من الشعر وفقا للموازين العروضية، ومنهم من يدعى أنه شيلى وهو لا يستطيع أن ينظم الشعر المقفى، ومنهم من يدعى أنه شكسبير وهو لا يستطيع أن يفكر. وجميع تلك اللاشخصيات المجهولة العابثة سواء كانت من هذا الجانب أو من الجانب الآخر إنما تجعل غايتنا مدعاة للسخرية. ذلك لأنها عديمة الإحساس. ومثلها فى الحياة الآخرة كمثلها فى الحياة الدنيا.

شيء واحد يمكن أن أقوله بصدق، هو أنه بالرغم من وجود بعض الرسائل الزائفة، لم يعرض لى فى غضون كل هذه السنين أية رسالة تنطوى على كفر أو فظاظة أو فحش. وعلينا أن نعتبر مثل تلك المصادفات مجرد شيء استثنائى شاذ عن القاعدة.

واعتقد أيضا - حتى الآن - أن الادعاءات المتعلقة بالجنون والعته واختلال العقل، والمس الروحى، وغير ذلك، إنما هى أمور

وهمية للغاية، ومحض اختلاق وافتراء. والاحصائيات الواردة من دور الاستشفاء للصحة العقلية لا تؤيد ما تقوله تلك الادعاءات. فالوسطاء يعيشون حياة طيبة فى سن متوسطة كغيرهم من الوسطاء، ويتسمون بالصدق والأمانة والخير والطيبة.

وأعتقد كذلك أن الإعجاب الزائد عن حده بالجلسات الروحية ربما يكون مبالغًا فيه. وأنت حينما تقنع نفسك بحقيقة الظواهر المدركة بالحواس، فمعنى هذا أن الجلسات الروحية قد قامت بدورها. والشخص الذى يقضى حياته فى الجرى من جلسة إلى أخرى، إن هو إلاّ مجرد صياد للأحداث المثيرة. وهنا تتعرض الصيغة (الشكل) – كما يحدث فى المعتقدات الأخرى – لخطر إطفاء نور الشىء الواقعى، المحسوس.

والشخص عندما يتتبع البراهين المادية ويتعقبها، ربما ينسى أن الموضوع الحقيقى لكل هذه الأشياء هو أنه يعطينا الأمن والأمان فى المستقبل، ويمدنا بالقوة الروحية فى الحاضر، ويتيح لنا الحصول على إدراك حسى مناسب عن طبيعة المادة سريعة الزوال، ويساعدنا على الوصول إلى الأهمية القصوى والقيمة الحقيقية لكل ما هو روحى.

ومن ثم فإن النتيجة التى انتهيت إليها بعد بحثى الطويل وتعقبى إثر الحقيقة، هى أنى بالرغم مما كان يحدث أحيانا من تدليس وخداع يأسف له الروحيون أشد الأسف، وبالرغم من المعتقدات الشعبية المتهورة التى تثبط العزم وتخمد الهمة، فلا تزال هناك – مع ذلك – نواة متينة ومكينة راسخة الجذور فى هذه الحركة الروحية التى هى أقرب إلى البينة الإيجابية من أى حركة أخرى.

إن هذا الموضوع كما برهنته يجدر أن يعتبر بعثًا لعلم كـان قـد اندثر، لا إكتشتفا جديـدًا. وإننـا لسنـا فى عهـد يصح أن نهـدر فيـه الأراء الناضجة المتروى فيها لأمثال كروكس، ووالاس، وفلاماريون، وشارل ريشيه، ولودج، وباريت، ولومبـروزو، والجنراليـن دريـزون، وتيرنر، والسرجنت بالانتاين، وستيد، والقاضى إدمونـدز، والأميـرال إسبورن مور، والمرحوم الأرشيد ياكون ويلبـر فـورس، وجـم غفيـر من شهود آخرين – قلت لسنـا فى عهـد يصح أن تـوصف فيـه آراء هؤلاء بأنها من الخلط أو اللغـو الممـل.

وقد اتفقنا أنا والأستاذ آرثر هيل على القول بأننا وصلنا من هـذا العلم إلى الغاية التى تعتبر معها كل شهادة جديدة زائدة عن الحاجة. ويقع عبء كل إنكار على المنكريـن أنفسهـم.

والناس أنفسهم الذين يصخبون ويصرخون مطالبين ببراهين، لـم يتخذوا أية خطوة إيجابيـة، ولـم يبذلـوا أى جهـد لاختبـار البراهين الوافرة الموجودة الآن فى متناول الأيدى. وكـل مـن هـؤلاء يخيـل إليه أن الموضوع برمته يجب أن يبدأ «من أول وجديـد»، لأن كـلاً منهم يريد أن يستخبر عن معلومات خـاصة بـه.

وكانت الطريقـة التى اتبعهـا خصومنـا هى التركيـز على الرجـل الأخير الـذى أورد الوقائـع والحجـج المؤيـدة لرأيـه – وتصادف أن يكون هذا الرجل فى هذه اللحظـة هـو السيـر أوليفـر لـودج – ثـم التعامل معه كما لو يكون قد جاء متطوعًا لعرض بعض آراء جديـدة ترتكز جميعهـا على تحقيقاتـه الخـاصة، بصرف النظـر عـن الوقائـع المؤيدة بالبينات والبراهين الإضافية من المحايدين والمستقليـن غيـر المتعصبين العاملين من قبلـه.

وهذا الأسلوب من النقد ليس على شيء من الأمانة، لأن اتفاق الشهود فى كل قضية هو الأساس الحقيقى للاقتناع. ولكن هناك - كأمر واقع ومألوف - شهود كثيرون ممن يتصفون بالصدق والأمانة يمكن الاعتماد عليهم والركون إليهم فى هذه القضية. فمثلا، لو إن معرفتنا وحدها بالقوى المجهولة توقفت على بحوث الدكتور كروفورد استاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة بلفاست، تلك البحوث التى باشرها مع وسيطته غير المحترفة مستخدمًا فى تسجيل الظواهر الوساطية الميزان والكاميرا والدينامومتر وجهاز تسجيل الأصوات، ثم جاءت هذه البحوث بنتيجة تم اختبارها وتسجيلها بروح علمية حقيقية وبتبصر وحذر، فلست أدرى كيف يمكن أن تثار الشكوك ضد هذه البحوث. لقد قامت هذه الظواهر وتوطدت أركانها منذ زمن بعيد، وأصبحت حقيقة ثابتة لكل عقل متفتح.

ولأننا نشبع رغبتنا ونرضى أنفسنا بملاحظة الظواهر بدون اهتمام لما تعنيه هذه الظواهر، فنحن فى ذلك مثل شرذمة من البدائيين حين يحدقون بأبصارهم إلى تجهيزات لاسلكية بدون إدراك أو تقدير للرسائل القادمة من خلالها.

ولقد مرّت هذه الظواهر من مرحلة كانت فيها مجرد لعبة للتسلية فى حجرة الاستقبال. أما الآن فهى تنبثق من شيء جديد غير مألوف، قابل للمناقشة العلمية، وهى الآن - كما يجب أن تكون - أخذة مكانها فى المؤسسات العلمية كعلم جديد مؤيد بالبراهين المحققة.

إن زمن البحث والتنقيب قد مضى أوانه، وحان وقت العمل منذ وقت بعيد. إن الأدلة التى يستند إليها هذا العلم من الكثرة

بحيث تملأ مكتبة بأكملها. والشهود الذين دعموه لا يعيشون فى غيابات الظلام، ولا هم فى ماض بعيد لا يقبل التمحيص، ولكنهم معاصرون لنا، ومن أصحاب المدارك والصفات المجمع على احترامها. أما النظرية التى مؤداها أن الروحية لا تعدو التدليس والإفك فلا تثبت أمام الوضوح والعيان. فإما أن يكون هذا الأمر من الجنون البحت، وإما أن يكون انقلابًا يجعلنا نقابل الموت وجهًا لوجه بلا وجل، وبتعزية لا حدّ لها باقتناعنا بأن الذين نحبهم لم يتلاشوا بالموت، ولكنهم انتقلوا إلى عالم وراء الحجاب.

وأحب أن أضيف بضع كلمات عملية قليلة، أتوجه بها إلى هؤلاء الذين يعرفون حقيقة ما أقول : إن لدينا فى الحياة الحاضرة تطورًا هائلاً جديدًا، وارتقاء فى تاريخ البشرية أعظم. فكيف يكون لنا أن نستفيد من هذا الارتقاء؟..

أعتقد أننا لزامًا علينا أن نعلن بشرف تصديقنا – وبخاصة – إلى هؤلاء الذين يعيشون فى قلق واضطراب. وحين نعلن هذا التصديق يجب علينا أن لا نغتصبه ولا ننتزعه عنوة، وإنما ندع الأمر لحكمة أسمى من حكمتنا.

إننا لا نودّ أن نهدم أية عقيدة، أو نقلب نظام أى دين، ولكننا نريد فقط أن نعيد إلى ذوى العقول المادية ذاكرتهم ونردهم إلى صوابهم، كيما نخرجهم من أوديتهم الضيقة، ونضعهم على القمة حيث يمكنهم أن يستنشقوا هواء أنقى، ويشاهدوا أودية وتلالاً أخرى أعلى وأسمى.

والصيحة الطاهرة البريئة التى تدعونا للمساعدة إنما هى صيحة

أولئك الذين يفتقدون المساعدة، وأولئك هم الضائعون والمتحيرون، الذين يتوقون من أعماق قلوبهم إلى إقامة صلة من جديد. وهذا أيضا يمكن أن يكون من الأمور المبالغ فيها.

فإذا كان ابنك يقيم فى أستراليا، فليس من المعقول أن تؤمل منه أن يتوقف عن عمله بصفة مستمرة لكى يكتب لك خطابات مطولة على مدار فصول السنة. وحينما يتيسر لك الاتصال به، فلتكن معتدلاً فى طلباتك. ولا تقتنع بأى بينة إن لم تكن على أحسن ما تكون البينة. حتى إذا ما توصلت إلى ذلك، يمكنك – كما يبدو لى – أن تنتظر تلك الفترة القصيرة التى سيجتمع فيها شملنا جميعا بعد فراق.

إننى فى الوقت الحاضر على صلة بثلاث عشرة أم يقمن بمراسلة أبنائهن الذين انتقلوا إلى العالم الآخر. وفى كل هذه الحالات كان الأزواج – وهم على قيد الحياة – موافقون على البينة، ماعدا حالة واحدة كان الأب فيها – على ما أعلم – على دراية بالمسائل الروحية قبل الحرب.

وكان لعديد من هذه الحالات خصائص مميزة. ففى حالتين من هذه الحالات ظهرت للعيان أصابع الغلمان (المتوفين) بجانب أمهاتهم فى صور فوتوغرافية. وفى حالة واحدة جاءت الرسالة الأولى إلى الأم من خلال شخص غريب أُعطى له العنوان الصحيح للأم.

وأصبحت الاتصالات بعد ذلك تتم مباشرة. وفى حالة أخرى كانت الطريقة لإرسال الرسائل هى إعطاء أسماء كتب موجودة فى

مكتبات نائية، والرجوع فيها إلى صفحات وسطور معينة تحمل فى جملتها رسالة. وهذه الإجراءات كانت تتم كيما تحرر الرسائل مما لا خير فيه. وتزيل الخوف من أن تكون الرسائل من قبيل التخاطر (التلباثى). وليست هناك – فى الحقيقة – طريقة ميسورة يمكن بها إثبات حقيقة ما لتظل هذه الحقيقة غير محققة.

إذن، كيف يمكنك أن تعمل أو تتصرف؟

الأمر لا يخلو من صعوبة. فكما أن هناك أناس صادقون ومخلصون، هناك كذلك أناس مدلسون ومحتالون. فعليك أن تعمل بحذر شديد. وعلى قدر ما يكون الوسيط المحترف متحمسًا، فلن تجد أية صعوبة فى الحصول على أشياء تجعل المرء موضع الثقة وحسن الظن. وربما لا تجد فى حالات أخرى شيئا على الإطلاق.

إن الحالات محيرة جدًا، وفيها الكثير من المراوغة، ومع ذلك فالبعض يحصل على النتيجة فى الحال. ونحن لا يمكن أن نسوغ لأنفسنا أن نطرح القوانين أرضًا، ذلك لأن القانون إنما يعمل بحسب التعاليم الدينية بخاصة لخير الإنسان فى الدنيا والآخرة.

وبعض الناس يعترضون على المراسلات بحجة أنها تعوق تقدم المنتقلين إلى العالم الآخر. وليس هناك أية بينة ولو كانت صغيرة على ما يزعمون. وتصريحات الأرواح تؤكد العكس تمامًا، وتقرر أنها تستمد المساعدة والقوة عن طريق الإتصال بينها وبين من تحب.

إنى أعرف بضع فقرات قليلة مؤثرة ومثيرة للمشاعر بفصاحتها الصبيانية البسيطة تفوق تلك الرسائل التى يصف فيها «رايموند»

مشاعر الغلمان «الموتى» الذين يرغبون فى إرسال رسائل إلى أقاربهم، ويجدون أن الجهل والتحيز والشك عوائق مستمرة. «من المؤلم أن تذكر أن أولادك قد ماتوا .. ولكن هناك أناس يفكرون على هذا النحو. وإنه لمن المقزز للنفس أن تسمع من الأولاد شكاياتهم إليك من أن أحدًا لم يتحدث إليهم أبدًا. لقد آلمنى هذا غاية الألم وحزّ فى نفسى كثيرًا»

عليك قبل كل شيء أن تقرأ مجموع ما كتب فى هذا الموضوع من مقالات ومؤلفات .. هذا الموضوع الذى كان بعيدًا كل البعد عن مجرد التفكير فيه. وكان مدعاة للاستخفاف به، ليس فقط من العالم المادى، ولكن من المؤمنين المصدقين أيضا.

شبّع نفسك بهذه الحقيقة الكبرى. وتعوّد عليها حتى تلمّ بها.. وكن خليلا وعشيرًا للبينة المتفوقة فى القدرة القاهرة، المفرطة فى التزويد بالقوة. وأعرض عن الجانب الظاهرى ..واحفظ عن ظهر قلب التعاليم السامية التى جاءت فى كثير من الكتب القيمة التى تبحث فى العلوم الروحية. وهناك مكتبة كاملة لهذه المؤلفات ذات القيمة التى لا تقدر.

وسّع دائرة أفكارك، وطهر قلبك من الأمور الدنيوية المفسدة، وزوِّد عقلك بالمعانى الروحية السامية .. واعلم أن الإيثار هو الفكرة الأساسية،والحقيقة الجوهرية للتقدم.

لا تفهم هذه التعاليم كعقيدة أو كإيمان، ولكن كحقيقة محددة المعالم، واضحة كل الوضوح. ذلك لأننا نتحرك بسرعة نحو حياة أخرى سيكون فيها الجميع فى غاية السعادة. وهذا هو الطريق

المستقيم.

أما الصفات التى يمكن أن تفسد تلك السعادة أو تشوهها أو تؤجلها إلى حين، فهى الحماقة، والأنانية، فى خلال هذهِ السنين القليلة من سنى أعمارنا.

كما يجب علينا أن نكرر القول بأن «الكشف الجديد» إذا كان يبدو هادمًا أو محطمًا لأولئك الذين يؤمنون بالتعاليم المسيحية ويستمسكون بها بصرامة مفرطة، فإن له تأثيرًا عكسيا نافذ المفعول تمامًا على العقل الذى جاء – مثله كمثل كثير من العقول الحديثة – لكى يعتبر جميع المناهج المسيحية وهمًا عظيما، وضلالاً مبيناً.

ومن الواضح البيّن أن «الوحى القديم» فيه مشابهات وأمثال كثيرة جدًا امحت مع مرور الزمن، ولحقها التلف بسبب سوء تدبير الإنسان وماديته. ولكننا لا نزال نشير إلى المنهج العام نفسه. ولقد جاء كلاهما – بلاشك – من المنبع ذاته.

إن الحقائق المقبولة والمسلّم بصحتها عند الجمهور عن الحياة بعد الموت .. وعن الأرواح العليا والسفلى؛ وعن السعادة النسبية التى تتوقف على أعمالنا فى الحياة الدنيا وعلى السلوك الخاص بنا؛ وعن الأرواح المرشدة؛ وعن الثواب والعقاب؛ وعن المعلمين ذوى المراتب العليا؛ وعن القوة المركزية اللانهائية؛ وعن الطبقات والدرجات التى تقربنا أكثر وأكثر من حضرة الموجود واجب الوجود – إن هذه المفاهيم كلها إنما تظهر مرة أخرى معززة ومصدقا عليها من عديد من الشهود ..

أما ادعاء اليقين، والتنزه عن الخطأ، وادعاء الإلتزام، والتعصب

الديني، والتطرف، والتظاهر بالعلم «الحذلقة» عند اللاهوتيين، والطقوس التي من صنع الإنسان والتي تنأى بالحياة عن نعمة الله وعطائه، فإنها، دون غيرها، هي التي شوّهت الحقيقة.

وليس هناك ما أختم به هذا الكتاب الصغير من كلمات أحسن مما جاء على لسان الشاعر والكاتب «جيرالد ماسي» (١٨٢٨ - ١٩٠٧) منذ عدة سنوات :

«إن الاتصال بالأرواح صار لي كما صار للكثيرين غيري توسعة في أفقي العقلي، ومنفذًا لي إلى السماء، وتحوّلاً لإيماني بالغيب إلى عقيدة بمشاهدات محققة لا يمكن أن تشبه الحياة بدونه إلاّ بالمرور في قاع سفينة مغلقة النوافذ وليس مع السائر سوى بصيص من لهب شمعة، ثم سمح له فجأة بأن يصعد إلى سطح السفينة في ليلة سطعت فيها الكواكب كيما يتأمل لأول مرة هذا المنظر العجيب للسماء وهي تتلألأ بعظمة الله وجلاله».

تم الكتاب

هوامش وتعليقات للمترجم

(١) يصرح الدكتور هودجسون منذ سنة ١٨٩٩ قائلاً : «إن العالم على وشك رؤية حوادث خطيرة جدًا. فأؤمل أن أهدى بعد مضى عامين أو أقل إلى العالم أجمع تفسيرًا جديدًا لنواميس الحياة الإنسانية. ولهذه العقيدة القديمة التى لا يمكن أن يعارضها أى دين، ولا أن تعترض طريق أية طائفة من الطوائف. وسيتضح كل شىء للنوع الإنسانى الذى يئن ويتألم من الشكوك، ويتأرجح معها إلى هنا وهناك.

وإذا كان الأستاذ هايسلوب أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا، قد أعلن أنه تحادث مع أرواح الموتى فإنه لم ينطق إلاّ بحقيقة نقية».

ثم يضيف هودجسون : «لقد بدأت أبحاثى أنا والأستاذ هايسلوب منذ اثنتى عشرة سنة، وكنا ماديين دهريين، لا نصدق فى شىء من ذلك مطلقاً. ولم يكن لنا إلاّ غرض واحد، وهو كشف الغش والتدليس ليس إلاّ. أما اليوم – وما أدراك ما اليوم – فإنى أعتقد وأجزم بإمكان المحادثة مع أرواح الموتى. وقد قام عندى الدليل على صحة هذا الأمر بحيث لا أتصور مطلقا أن يتطرق إليه الشك».

عن الروحية والدين

نشرت جريدة «المورننج بوست» اليومية، واسعة الانتشار فى شهر أبريل من عام ١٩٢٦ مقالاً بعنوان «الروحية والدين» لإحدى المحررات بالجريدة، رأينا أن نترجمه فيما يلى لما فيه من آراء ومشاهدات تنطبق وتتوافق مع ما جاء فى هذا الكتاب الذى نرجو أن يكون قد نال القبول من القارىء الكريم :

إن النتيجة النهائية التى انتهى إليها المتجادلون فى علم الروح هى أنه لم يعد الآن من السهل عدم الاهتمام والعناية بهذا الموضوع. فهناك اهتمام شديد ومطرد نحو هذا الموضوع يزيد وينمو بين الناس، سواء أكانوا من الطبقات العادية غير الدينيين، أم كانوا من رجال الدين على السواء. ويزيد فى تقوية هذا الاهتمام وإنعاشه جماعات الروحية بدعواتهم المتكررة دائمة النشاط والحركة.

ولسنا نذهب إلى مناقشة صحة مسألة علم الروح وما يقال الآن فى صدده من عجائب وغرائب. فمن المسلّم به أن هيئة كبيرة تضم بين جناحيها الكثيرين من الرجال النابهين الأفذاذ أمثال السير «أوليفر لودج»، والسير «كونان دويل»، والمرحوم السير «وليم كروكس»، الذين آمنوا بعلم الروح، وعملوا منذ زمن طويل على نشر هذه العقيدة، وجذب الناس إلى هذا الاعتقاد.

فالغرض إذن من هذا الموضوع هو وصف الروحية والروحيين. وإرسال شعاع من النور على تجاربهم ومحاوراتهم، وإظهار مدى النجاح الذى أدركوه حتى اليوم، وما قد ينالونه فى المستقبل.

ولكن هل ادعاءات الروحيين صحيحة؟ وهل هى شرعية أم لا؟.. فهذا ما يقف إلى جانب مقدار نجاحهم. فالعلماء ذوو المقدرة العقلية الوفيرة يستطيعون مناقشة براهينهم وتأكيد ما يقولون بالحجة البينة والدليل القاطع. ولكن كم من الأفراد العاديين لديهم من الفكر القويم والرأى الراجح ما يمكنهم من التمييز بين الدليل المشروع من غيره؟..

لقد كانت هناك موضوعات أخرى غير هذه صادفت نجاحًا فى الماضى بسبب انتعاش الدين والمعتقدات العصرية، وكانت من قبل قائمة على قواعد سطحية أضعف مما ينبى عليه الروحيون نظراتهم أمام العالم اليوم.

ويتساءل معظم الناس اليوم : ماذا وراء الروحية؟ .. لابد أن يكون خلفها شيء ما .. ليس هناك دخان بغير نار .. وأخذ الناس يوجهون هذه الأسئلة إلى رجال الدين الذين أسقط فى أيديهم وصاروا لا يحيرون جوابا. ولكن الحقيقة التى يؤيدها الدليل أن بعضنا من ذوى الرءوس المفكرة من رجال الدين يندفعون باهتمام جدى نحو هذا الباب فى درس هادىء ساكن، بالرغم من أن الفرص التى تمكنهم من البحث والاستقصاء تكاد تكون معدومة.

فى حين أن الواقع الذى لا مرية فيه هو وجود عدد كبير من الناس الذين لا يعترضون الكنيسة ولكنهم غير مكتفين ويطلبون

المزيد من الإيضاح والتفسير.

وقليل من الروحيين يعادون الكنيسة بل ويعتقدون أن الروحية إنما هى قوة تعزز تعاليم المسيحية وتمدها.

وفى بريطانيا من كنائس الروحية ما يقرب من الستمائة، منها مائة غير متصلة، والباقى يتصل بالهيئة الرئيسية للاتحاد الوطنى الروحي. ويقدر عدد الأشخاص الذين يحضرون صلاة هذه الكنائس المتصلة كل يوم أحد بما لا يقل عن المائة ألف، ويمثل هذا العدد جزءاً صغيراً من أولئك الذين يهتمون بالروحية. وقد يبدو هذا أمرًا تافها إذا حكمنا عليه من وجهة الانشقاق عن العقيدة.

ولكن قد يتساءل أحد الناس: أيسرى كل هذا الاهتمام بالروحية دون غيرها من التعاليم الأخرى؟.. والجواب على ذلك هو أن هناك عدة أسباب قوية لظهور الروحية بهذا المظهر الذى يشتاقه الناس سنوضحها فيما بعد.

وهناك كثير من الناس لا يعلمون عن الروحية شيئا أكثر من أنها قصص مؤثرة يسمعونها عن الجلسات، والوسطاء، وأصوات غريبة، وموائد متحركة، ويأبون الإنصات إليها لأنها فى رأيهم خرافة. ويرفضها آخرون لأنها فى زعمهم من عمل الشيطان.. وهذا يذكرنى بحكاية رئيس من رؤساء قبائل السودان جاء مرة لزيارة انجلترا، وعندما أخذوه لمشاهدة آلة الطباعة فى صحيفة «المورننج بوست» فى أثناء عملها، وقف أمامها مشدوها وراح يحدق فيها بدهشة كبيرة بضع دقائق، ثم بان على وجهه بريق من النور والتفت إلينا لفتة من حلّ أكبر لغز وقال: «لقد عددتهم، فهم عشرون شيطانا

فى الآلة». ولكن هذا التفسير الساذج لم يكن التفسير الصحيح فى سرّ عملها. وهذا ينطبق أيضا على الروحية التى لا تنطلى لعقول الآلاف من العقلاء المؤمنين.

وعند مناقشة موضوع الروحية يجب اختبار عقلية الشخص الذى تحاوره والذى يؤمن بها. فإن كثيرا من هذا الأمر يتوقف على صحة عقولهم، وهل هم من ذوى النفوس الطيبة السوية أم من أصحاب النفوس المريضة؟ .. ويظن بعض الناس أن المشتغلين بالروحية إما أن يكونوا على درجة صغيرة من الجنون، وإما أن يكونوا مصابين بالصرع أو مخرّفين هاذين. وهذا ما كان عليه اعتقادى أيضا فى بداية الأمر.

وفى الواقع، أصرح بأنى قد قبلت دعوة السير كونان دويل إلى وليمة عشاء يحضرها بضع مئات من رواد الروحية - بتردد. وكنت أتوقع أن أرى نفسى فى وسط غريب شاذ، ولكنى رأيت جمعاً من الأشخاص العاديين المعتدلين الظرفاء، طلقى المحيا، حسنى الهندام والمظهر، ولم يكن بأى واحد منهم شيء مخالف للمعتاد. وقد لفت نظرى السير كونان دويل بمزاحه الرقيق إلى هذه الملاحظة الحقيقية التى أعرف بها. وهى أنى رأيت كثيراً من المظاهر الشاذة فى اجتماعات السياسيين والعلماء ورجال القانون والطب، وأن التأثير السابق الذى كنت أخرج به من اجتماعات أولئك يجعلنى أعطى لهؤلاء حقهم.

ولقد رأيت فى اجتماع هؤلاء جميعاً من زعماء الروحية ومشاهير الوسطاء، ولكنى لم أر أحدًا به صرع أو جنة. ولم أشهد أحدًا من المشعوذين الذين يدّعون كشف الحجاب بالجهل. بل بالعكس

رأيت من رجال الأعمال ومن ذوى الجاه والمكانة عددًا كبيرًا. وإني أرى من الضرورى أن أوضح تلك الحقيقة، وهى أنى لم أشاهد حتى اليوم من رجال الروحية من ترك فى نفسى أى أثر يجعلني أشك به في سلامة عقله وصحته. وليس معنى هذا أنه ليس بينهم أحد من أولئك، ولكن بنسبة لا تجاوز الموجودة فى أى فريق آخر. وقد يكون ذلك لإفراطهم فى التحمس لمعتقدهم أو لما قد يكونون عليه من سذاجة. ولكن على كل حال لم أرَ بين الروحيين من يتصف بالشذوذ أو الاستهجان أكثر مما رأيت بين مختلف المعتقدات والهيئات الأخرى.

وعلى المرء أن يحضر اجتماعًا عامًا لهم ليرى هل يميل الجمهور إلى مبادئهم أولا؟ . ولقد قصدت إلى واحد من هذه الاجتماعات أقيم فى ناحية من لندن ألقى فيه السير كونان دويل خطابا، فكان المكان مملوءا بالمستمعين وكانوا ينصتون كالمسحورين، وكانوا من مختلف الطبقات. فمن كُتّاب إلى عمال وصُناع وتجار، رجالاً ونساء. وكان خمس وتسعون فى المائة منهم يلتهم الوصف الذى يسمعه عن مستقبل الحياة، وكانت نسبة الحاضرين من الشبان والشابات كبيرة. ولقد اعتقدت أن هؤلاء من الأشخاص الذين لا تصل تعاليم الكنيسة إلى قرارة نفوسهم، ولكن قد وصلت الروحية إليها بنجاح.

وكان الملاحظ المدقق يرى أن الخطباء كانوا يشبعون الجوع الدينى الذى يؤرق المستمعين، وكم كان الطعام المغذى المقدَّم لهم – بالرغم من المجادلة فيه – سائغاً لهم. وعندما انتهى الوقت كان يبدو على كل فرد أنه يود لو يطول الوقت أكثر من ذلك.

وكان كل من الحاضرين يتساءل ويعلق الجواب على سؤاله، كما لو كانت الحياة هى المعلقة على ذلك.

ولم أرَ ضمن ما رأيت من اجتماعات ومحاضرات ما رأيت فى هذه من التلهف والشوق، ولقد علمت بأن هذا هو الحال فى كل اجتماعاتهم. فهل يصرّ الناس على القول بأن هذه المادة مصيدة لعقول الجهلاء، وشباك لضعاف النفوس؟..

لافتة تذكارية
ترد للسير آرثر اعتباره

تحت هـذا العنـوان جـاء في مجلـة «سايكك نيـوز» الاسبوعيـة المعروفة «بصحيفة الـ ١٠٠ ألف قارىء» بتاريخ ٢٦ مايو مـن عـام ١٩٧٣ ما يلي:

لاشكك أن لافتة تذكارية تثبت على واجهة منزل بمدينـة لنـدن حيث يقيم السير آرثر كونان دويـل، هي أقـل مـا يقـدم تعبيـرًا عـن التقدير والثناء والإعجاب بمـا قدمه ذلك الأديب والكـاتب والعالـم الروحي من خدمات في مجال العلـم والمعرفـة.

ولقد دفع هذا العمل الجليل مراسلاً صحفيا يعمـل في صحيفـة «التايمز» إلى كتابة مقال في يوم السبت الماضي عن الأسلوب الذى تميز به آرثر كونان دويل في كتابـة قصص شرلـوك هولمـز. وكـان عنوان المقال : «قضية بنّـاء الترسانـة الأشول».

وبدأ المحرر مقالته بقوله إنه شاهـد بنـاء يـدعى «فـرانك بارنـز» منهمكا في اليوم السابق في نقب تجويف قليل الغـور قطـره قدمـان في سور المنزل رقم ١٢ بشارع تنيسون بمدينـة «ساوثـر نـوروود».

وفي الفجوة التى فتحها في سور المنزل علّق بارنـز واحـدًا مـن الأطباق الزرقاء الخاصة بـالمجلس الأعلى، تحمـل هـذه الكلمـات:

«السير آرثر كونان دويل (١٨٥٩ - ١٩٣٠) صانع شخصية شرلوك هولمز، عاش هنا فى الفترة من عام ١٨٩١ حتى عام ١٨٩٤».

وكان هذا العامل - حسب الحقائق الواضحة - فى الخامسة والخمسين من عمره، أشول، متزوج، يعمل مساعداً فى دار الترسانة، ويعيش فى منزل مجاور لسجن هولوواى.

وقال المحرر إن بارنز كان بناء غير عادى، إذ أنه كان يقيم النصب التذكارية بصفة دائمة ومنتظمة لمجلس لندن الأعلى.

أما المنزل فهو الذى كتب فيه آرثر كونان دويل معظم قصص شرلوك هولمز، وبدأت صحيفة «ستراند» بنشرها لأول مرة.

وانتقل دويل إلى ذلك المنزل بعد أن أصرّ على ترك مهنة الطب نهائيا وقضاء بقية حياته فى البحث والتأليف.

وبطريقة مستهجنة للغاية وصف الصحفى تلك القصص - التى جلبت لآرثر كونان دويل الشهرة الواسعة والصيت البعيد، والتى صنعت من شرلوك هولمز أعظم مخبر سرى على الإطلاق - بأنها «عمل تكسّبى» تعجل فيه هولمز لاحتياجه إلى المال.

وزعم المحرر أن دويل حينما كان يعيش هناك «عاد إلى صوابه وكره هولمز كرها شديدًا كما لو كان كابوسًا يعوقه عن تحقيق أمنيته بالكتابة فى المجلات التاريخية ذات المستوى الرفيع.»

ويضيف الصحفى قائلاً إن دويل حاول الاعتداء على حياة هولمز عدة مرات فى خلال هذه المدة، فكتب إلى أمه أخيرًا من فوق شلالات ريشنباخ بألمانيا حيث اتخذ قراره بأن يضع نهاية لهذه الشخصية الطاغية التى طغت عليه لدرجة جعلت الناس لا

يذكرون اسمه أبدًا: «إننى فى منتصف نهاية قصة هولمز وستصبح بعد ذلك أثرًا بعد عين. وبانتهائها يغيب عن الأنظار رجل نبيل المحتد، ينسجم سلوكه مع مقياس رفيع من السلوك الحسن، ولكنه لن يعود أبدًا. إننى متعب بسبب اسمه»

وقال الصحفى إن دويل كان مخطئا «حين استخف بهولمز وقدر مثابرته وإصراره ونبوغه وذكاءه تقديرًا بخسًا».

عندئذ هاج القراء وتملكهم الأسى حينما علموا أن لن يكون هناك قصص لشرلوك هولمز بعد ذلك. وفى الوقت ذاته إنهال على كونان دويل سيل من الخطابات تطالبه بإلحاح أن يعيد حياة هولمز من جديد.

وهناك - بهذه المناسبة - قصة روحية أعلن عنها الوسيط الروحى الشهير إيفان باور، وهى أن دويل حضر إحدى جلساته الروحية غير العادية فى «ميرشير ويلز»، وبعد انتهاء الجلسة قال للوسيط : «إننى ذاهب لارتكاب جريمة القتل العمد توًا، لقد صممت على ذلك منذ هذه اللحظة. إننى ذاهب للعمل على تكريس حياتى لنشر الدعوة لموضوع الاتصال بالأرواح وثبوت الحياة بعد الموت» وكان يعنى - بالطبع - «قتل شرلوك هولمز».

وقد اتخذ دويل قرارًا حاسمًا بأن يضع نهاية لقصص المخبر السرى الخيالية، التى أثرى من ورائها ثراء عظيما. إذ أنه كان يتقاضى عنها أجرًا عاليًا جدًا يقدر بعشرة شلنات للكلمة الواحدة.

وبالرغم من الإغراء الأمريكى الذى عرض عليه بدفع خمسة آلاف دولار للقصة الواحدة، بالإضافة إلى مائة جنيه استرلينى من

صحيفة «ستراند» لكل ألف كلمة، وكان عرضا مذهلاً فى ضوء قيمة النقود فى تلك الأيام، فقد آثر كونان أن يترك كل هذا ويقضى بقية حياته فى الدعوة للروحية، إيمانا منه بأنها دعوة سلام ومحبة واخاء بين جميع الأجناس والأوطان والأديان.

لقد أصبح دويل بحق أحد كبار المجاهدين فى سبيل الصالح العام، ويحق له أن يكتب على شاهد قبره «إنه كان أكثر رجال العصر الفيكتورى العظام كرمًا وسخاء».

* * *

وعن العدد الصادر بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٧٤ من صحيفة «سايكك نيوز» ننقل ما يلى: .

جاءنا من القارىء «نيفيل جيوسيبى» خطابًا يقول فيه إنه ليس روحيا، ولكنه قرأ عدة كتب فى الموضوع، وعنده بعض الإلمام به.

ولقد آلمه وحز فى نفسه أن صحيفة «ترانسداد جارديان» — الجريدة الرسمية لجزيرة أيسلندا — أبرزت فى الأسبوع الماضى حملة كاذبة فاضحة ضد السير آرثر كونان دويل ومذهبه الروحى. ونقلت الجريدة عن مجلة «تايم» مقالاً تتهم فيه كونان دويل بالسذاجة، وإنه بعد وفاة ابنه فى الحرب العالمية ١٩١٤ — ١٩١٨ — تحول إلى الروحية طلبًا للعزاء والسلوان.

ويقول «جيوسيبى»: وهذا الكلام غير صّحيح على الإطلاق. إذ أن السير آرثر كونان دويل أعلن اقتناعه واعتقاده الراسخ بالروحية فى مجلة «لايت» الروحية فى ٢١ أكتوبر من عام ١٩١٦ ، فى حين أن وفاة ابنه كان فى ٢٨ أكتوبر من عام ١٩١٨ أى بعد سنتين من اقتناعه

بالروحية.

وكان السير آرثر منذ طفولته متدينا مؤمنا بوجود الأرواح، وإمكانية الاتصال بها عن طريق الوسطاء. وقد ازداد إيمانه بذلك عقب مصرع ابنه فى الحرب ..

ويضيف جيوسيبى قائلاً: إن السجلات والمضابط الموجودة فى الجمعيات الروحية تؤكد أن دويل التحق بجمعية البحث الروحى فى عام ١٨٩٤ ، وأنشأ الكلية البريطانية للعلم الروحى سنة ١٩٠٢، واختير رئيسا للاتحاد الدولى للروحيين منذ سنة ١٩١٥ .

أليس من الظلم الفادح والافتراء المكشوف أن يوصف الرجل بالسذاجة بعد ثلاثين عامًا واصلها بنفسه فى هذا الموضوع قبل أن يصل إلى نتيجة نهائية كانت كافية لبناء اقتناعه الخاص بصحته؟..

حاشية:

لقد نشأ اهتمام كونان دويل بالروحية عندما كان طبيبًا فى «ساوتسى هانيتز» فى السنوات بين ١٨٨٥ – ١٨٨٨ ، وتلقى دعوة للمشاركة فى جلسات روحية كانت تعقد فى منزل شخص مريض يدعى الجنرال جرايسون بوساطة المائدة المتحركة.

وبعد ذلك اندفع بجرأة فى البحث عن ضالته المنشودة التى قادته إلى أن يكون واحدًا من أولئك الرواد الأوائل فى الروحية. وقد انفق قدرًا كبيرًا من ثروته فى أيامه الأخيرة فى النهوض بالدعوة إلى الروحية وإنشاء جمعية روحية فى لندن.

إنه يستأهل بحق وصدق لأن يطلق عليه لقب «قديس بولس الروحية».

كتب أخرى للمترجم

	السنة
١ – آمال : شعر منثور	١٩٣٢
٢ –هيام : شعر منثور	١٩٣٣
٣ –مسألة الجنسين : من الوجهة السيكولوجية والبيولوجية	١٩٤٥
٤ –القوى العقلية : تدريب نفسانى	١٩٤٦
٥ –دليل الاسكندرية : أول دليل من نوعه عن الاسكندرية	١٩٤٧
٦ –الأحلام والرؤى : دار المعارف (سلسلة إقرأ)	١٩٥٦
٧ –لكى تكون سعيدًا : دار المعارف (سلسلة إقرأ)	١٩٦١
٨ –نحو حياة مشرقة : دار المعارف (سلسلة إقرأ)	١٩٦٣
٩ –الطريق إلى النجاح : دار المعارف طبعة أولى:	١٩٦٢
(سلسلة إقرأ) طبعة ثانية	١٩٦٦
١٠ –الروح والخلود بين العلم والفلسفة : دار المعارف	١٩٧٠
١١ –العقل منبع الحكمة : عن دار الفكر العربى	١٩٧٧
١٢ –العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث :	
(منشأة المعارف)	١٩٧٤
١٣ –الروحية طريق الحياة : المركز العربى للنشر والتوزيع	١٩٧٩
١٤ – الشيخ طنطاوى جوهرى: دراسة ونصوص (دار المعارف)	١٩٨٠
١٥ – قوانا الكامنة وكيف نستغلها: (سلسلة إقرأ)	١٩٨٣
١٦ – أضواء على النفس البشرية: (سلسلة إقرأ)	١٩٨٧
١٧ – ألوان من الجمال والغزل: (سلسلة إقرأ)	١٩٨٨
١٨ – أشهر الأقوال والأشعار فى الحب والغزل:	
المركز العربى للنشر والتوزيع	١٩٨٩
١٩ – عقدة النقص؛ معناها معلاجها: دار قايتباى للنشر	١٩٩٤

السير آرثر كونان دويل مبتكر شخصية (شرلوك هولمز) تلك الشخصية الفذة التى أصبحت أكثر شهرة من مؤلفها هذا الروائى ذائع الصيت الذى عمل طبيبا وأديبا.

يقدم لنا آرثر كونان دويل فى هذا الكتاب تاريخاً صحيحاً وافياً للثقافة الروحية الحديثة بعد تجارب دامت ثلاثين عاما واصلها بنفسه فى هذا الموضوع كانت كافية لاقتناعه بأن الثقافة الروحية إنما تساعد الإنسان على كشف الجوانب الحقية فى الدين - وفى الحياة الممتدة للكائن البشرى - وفى تفاعل الإنسان مع أحداث العالم المتلاحقة وظواهره الغامضة.



دار صادق للنشر .. ص. ب. ١٢٠ سيدى جابر - الإسكندرية